ســـامى فريد

الرجال لا يعرفون الآه

الغــلاف والرســوم الداخـلية هدية مـن الفنان

فرج حسن

الرجال يعرفون الآه !

نعم يعرفون الآه.. ولم لا؟ اليسوا بشراً يحسون.. يتألمون ويفرحون.. ما الفرق فى نظرك - وأجبنى لو سمحت - بين الرجل والمرأة ومن النساء من هن أقوى من الرجال؟!

ليس الفرق بالطبع فرقاً بين فستان وبذلة.. أو مشية ومشية أو قوام وقوام.. الفرق أعمق من هذا وأبعد بعد السماء عن الأرض.. فأنا - ولا مؤاخذة - منحاز للمرأة رغم ما قد يبدو فى بعض ما أكتبه من انحياز للرجل ولكنه انحياز كده وكده وليس حقيقيا.. هو انحياز أملته اعتبارات كثيرة منها أننى أحب المشاكسة.. ولست أجد أمتع فى الدنيا من مشاكسة المرأة أعلم فى النهاية أنها يمكن أن تحتوينى بنظرة أو تؤجج حميتى بنظرة!!

منها أيضا أن الله الذى خلقنى سبحانه اختار لى أن أكون رجلا وهو اختيار أحمده كثيرا عليه لأنه لولاه لما عرفت قيمة النساء فى حياتنا نحن الرجال..

نعم الرجال يعرفون الآه.. ويقولونها لكنهم يقولونها برجولة!! آه رجالية واضحة وصريحة بلا ميوعة أو مياصة..

المرأة يا سادة هى الحياة.. هى الوجود باختصار.. هى كل شئ رغم أنها - ولست أدرى كيف - خلقت من ضلع آدم لتسحبه بعد ذلك خلفها إلى يوم يبعثون..

نعم الرجال يعرفون الآه.. ويقولونها لكنهم يقولونها برجولة!! آه رجالية واضحة وصريحة بلا ميوعة أو مياصة..

كنت أنا واحداً ممن قالوها زمان. سألتنى أمى أنت ضربت أخاك؟ قلت ببجاحة: آه. أضافت: وكسرت الطبق الصينى؟ قلت ببجاحة أقل وقد

استـشعـرت اقتراب الخطر: آه فلـسعتنى قلمـا قلت بعده ثلاثين آهـاً كلما تذكرتها وضعت يدى فوق خدى..

هذا نوع من الآه يمكن لجنسنا أن يقولها.. وهناك غيرها..

يقول الرجل «البصباص» إذا مرت امـرأة حلوة أمام المقهى بعد أن يشد نفساً من الشيشة: آه يا وعدى.. يقولها مـنغمة كأنه يغنيها.. واسمعه هو نفسه إذا سألته زوجتـه فى لحظة من لحظات البحث عن الذات: بتحبنى يا بو ابراهيم؟ فيرد عليها باقتضاب كـشغل التلغرافات: آه! مقطوعة بلا حياة ولا نفس ولا إحساس!!

مظلومة المرأة معنا نحن الرجال المتجـبرون الظالمون ولست أعتبر كلامى هذا دفاعاً عن حالها فهى أقدر على الدفاع عن نفسها.. لها الكلمة الأولى والأخيرة ولا يهـمنى مادمت احتفظ لنفـسى بحق الرفض ولو فى سرى، والمسألة محلولة.. فإذا كانت الكلمـة الأولى لها فان لى الكلمة الأخيرة! أما إذا كانت الكلمة الأخيرة لها فإننى صاحب الكلمة الأولى ولا فخر..

هكذا يتعنظز الرجل وينفض ريشـه ولو بالوهم ومن باب خداع النفس والمداراه وهو أغلب من الغلب.. لهـذا أسميت كـتابى هذا «**الرجال لا يعرفون الآه**» رغم أنهم يرددون «الآه» ليل نهار..

أجدنى فى النهـاية.. ومادمت قد اعترفت وبـحت وصرحت أن أوجه بالشكر لأصـدقـائى الذين تجـدون أسـمـاءهم فى هذا الكتـاب.. ولكل أصدقائى الذين سيقرأونه..

ولن أنسى بالطبع كل «هـى» أضافت ولو سطراً فى كـتـاب حيـاتى.. و«هى» أى «هى» تعـرف نفسهـا.. وتعرف مـاذا أضافت أو أخـذت ولها الشكر فى الحالين.. فقد تعلمت منهن جميعاً وعلى رأسهن صديقتى أمى أعظم كوميديانة تراچيديانة فنانة صادفتها فى عمرى كله..

المؤلف

الأدب الأكثر جدية

بقلم:

محمد بهجت

هناك أدب جاد مثل الذى طالعناه ـ مضطرين فى مناهج وزارة التربية والتعليم.. وهناك أدب أكثر جدية هو الأدب الساخر.. الذى لا يكتفى بمجرد الوصف أو التخيل محاولا التأثير فى وجدان القارىء.. وإنما يتجاوز ذلك مقتحما لغدد القارىء.. فهو يدفعه مباشرة إلى الضحك المرير.. ثم لا يتركه إلا صريعاً لحالة من التأمل الممزوج بالدهشة.. فالأدب الساخر بعكس أدب وزارة التربية والتعليم لا يحقنك بشحنة عاطفية مؤقتة.. وإنما يضعك أمام حالة ذهنية شديدة التعقيد.. فإذا بك تعيد النظر فيما كنت تظن انه صواب أو جائز.. وإذا بك وأنت تبتسم أقرب الى حال الضراعة والبكاء..

عندما كان نبى الله سليمان يتجه بجيش قوامه الإنس والجن والطير لمحاربه المفسدين فى الأرض مر على واد للنمل وحدث ما أخبرنا به الحق تبارك وتعالى فى قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون* فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدَّى وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين*﴾

صدق الله العظيم.

لقد كاد جيش سليمان وهو فى طريقه للإصلاح أن يحطم أمة من

النمل الآمن دون أن يشعر . . ولهذا صاحت النملة بالتحذير . . والتقط نبى الله كلماتها فتبسم ضاحكاً من المفارقة الساخرة . . وأدى به الابتسام إلى طريق التأمل الذى ينتهى بالضراعة والدعاء . . وهذا هو نفس طريق الأدب العظيم . . أو الأدب الأكثر جدية . .

ولعله من المؤسف أن يعد أدباؤنا الساخرون على أصابع اليدين . . بيرم التونسى . . حافظ ابراهيم . . عبد السلام شهاب . . فؤاد حداد . . صلاح جاهين في الشعر . . إبراهيم عبدالقادر المازنى . . الشيخ عبد العزيز البشري . . يحيى حقى . . توفيق الحكيم . . محمد عفيفى . . أحمد بهجت . . . . أحمد رجب . . محمود السعدنى في النثر . . بل حتى هذه الجوقة الصغيرة من الطيور المشاغبة لم يكن كل تغريدها من النوع الساخر!

فنرى أن شعر حافظ ابراهيم أكثره حماسي . وشعر فؤاد حداد أكثره حزين . . ورباعيات صلاح جاهين تغلب عليها درجات اللون الأسود . ويحيى حقى يهمس بالنكتة فى استحياء وتوفيق الحكيم يحيل كل شبهة للفكاهة إلى لسان محاورية . . وأحمد بهجت يصفع قلمه بشدة كلما غافله وكتب معبراً عن نفسه . بل يذكر لنا أكثر من كتاب أن الشاعرين الكبيرين ابراهيم ناجي وكامل الشناوي كانا من أقطاب السخرية وعباقرة التندر في حياتهما الشخصية . . لكن ما خلفاه لنا من شعر يؤكد أنه لا يصح تصنيفهما إلا ضمن كتاب المأساة الهندية . . ويبدو أن أنصار الأدب الأقل جدية قد انتصروا في معركتهم ضد الأدب الساخر واحتلوا معظم المواقع الإستراتيجية في أجهزة الإعلام ومنابر الرأى ولجان تقرير المناهج فى

وزارة التعليم. ولا يزال جيش النكد يلقى بقنابله المسيلة للدموع مستخدما أسلحة التنوير الشامل المحرمة دولياً.. ووسط هذا الحصار الأدبى يعتبر وجود كاتب ساخر بيننا أمرا يستحق الأحتفال. وفدائى هذا الكتاب هو الأديب الصحفى سامى فريد الذى تلقى تعليمه الأدبى الأساسى فى مدرسة يحيى حقى.. فعمل معه فى مجلة «المجلة» حتى أغلقها.. ثم توجه إلى جريدة الأهرام.. ومن خلال يحيى حقى تعرف سامى فريد على فن القراءة.. قراءة الكتب وقراءة الوجوه.. فمن منا يتخيل أن أمير الشعراء فى الصورة التى تمثله مستندا براحة يده إلى ذقنه كان يفكر فى شيء غير قصيدة جديدة؟ لكن سامى فريد بفراسته وقدرته على قراءة الوجوه اكتشف سر جلسة أحمد شوقى على هذا النحو.. إذ يرى أن الشاعر كان مهموماً بالمقارنة بين حاله وحال زوجته.. ولم لا؟ أليست المرأة هى دائماً القضية الأولى فى ابداعات كل أديب؟.. بلى بلى إنها كذلك.. فالكاتب العاطفى يولى كل اهتمامه للمرأة فى مرحلة ما قبل الزواج.. فإذا تم الزواج انتهى دور الكاتب العاطفى وبدأ دور الكاتب الساخر.. والحقيقة أن تفاصيل الحياة اليومية داخل منزل الزوجية كانت ولا تزال من أخصب المواد الفنية للأدب الساخر وحده.. فمحمد عفيفى كتب «ترانيم فى ظل تمارا» وأحمد بهجت «مذكرات زوج» وأحمد رجب «نهارك سعيد» وغيرها.. لكن لعل من أبدع ما كُتب فى هذا المجال قصيدة لبيرم التونسى عنوانها «خناقة فى الفراش».. حيث ينام الزوجان فى شهر من شهور الشتاء.. وقد منعهما البرد الشديد من العراك

بالأيدى.. فاكتفيا بالتهديد لحين أن يتمكنا من الخروج من تحت الغطاء الذى يجمعهما!! وتبدأ القصيدة بحوار عادى قد يبدأ فى أى بيت.. ولكنه يتطور إلى تلاوم.. ثم إلى احتداد.. ثم إلى محاولة للتصالح.. تفشل فيعقبها المزيد من الاحتداد.. ثم صراخ.. ثم تهديد ووعيد.. ثم سباب.. ثم نوم عميق.. وكل بيت من أبيات القصيدة شطرته الأولى على لسان الزوج وتتمة البيت على لسان الزوجة.. ليستعرض بيرم قدرته اللغوية والموسيقية إلى جانب قدرته على فهم التركيبة المصرية.. وتمييز القاموس النسائى عن مفردات الرجل.. وأخيراً التقاط المفارقات فى أشياء قد تبدو عادية وبديهية.

لكن تناول سامى فريد لتفاصيل الحياة اليومية بين زوج وزوجة كان فيه اختلاف كبير عن كل ما سبق.. إذ لم يعتمد فى تفجير الضحكات على تقديم الشخصيات المتناقضة.. وإنما اعتمد على دراسة الفوارق النفسية الطبيعية بين الرجل العادى والمرأة العادية.. لذلك تبدو حكاياته أكثر تقاربا لما يحدث فى الأسرة المصرية المتوسطة داخل مجتمع المدينة.. وهذا يجعل من الفكاهة أمراً بالغ الصعوبة.. إذ إنه من السهل على الكاتب أن يظهر التنافر بين الأبيض والأسود.. ولكن إيجاد الفوارق بين درجات اللون الواحد مسألة تتطلب ابحاراً طويلاً فى لوحات النفس البشرية.. كما تتطلب ذوقاً مرهفاً وعيناً ثاقبة..

ففى حكاية «أنا لست الاخرين» لم يكن الزوج آلة خالية من الشعور.. كما أن الزوجة ليست عاطفية إلى درجة البلاهة.. هناك الفارق الطبيعى بين الرجل والمرأة.. وفى هذا النطاق من الاختلاف

يتحرك الكاتب ويصنع موقفه الساخر.. فكأنما هو لاعب كرة شراب يجيد المراوغة فى دائرة نصف متر.. وهى مقدرة فذة لا يدركها إلا خبراء ونقاد الكرة الشراب..

وفى حكاية «أنا حر» يأخذ الزوج أجازة اسبوعاً نتيجة سفر الزوجة إلى أمـهـا.. ولو قلت هذه الفكرة لكاتب فكاهـى تقليدى سـيـخـرج عليك بمغـامرات عـاطفيـة مع خادمـة الجيـران وتدخل من المكوجى الذى يحب الخادمـة.. وسينهى لـك الموقف فى قسم البـوليس.. لكنك إذا أعطيت هذه الفكرة لكاتب انسانى ساخر ستجدها أقرب إلى النحو المكتوب..

خلاصة القـول هذا الكتاب يتعرض لبـعض مواقف الحياة اليـومية بين الزوج وزوجته.. فـإذا كنت أعزب فسوف يؤنسك هذا الكتـاب فى ليالى الشتاء البـاردة.. أما إذا كنت متزوجا فـلا شك أن الكتاب سوف يؤنسك أكثر..

محمد بهجت



العربة والحصان !



أنا رجل لا أحب المقدمـات الطويلة ويعجبنى القصـد فى القول وأقدر جداً ذلك الإنسان الذى يحتـرم وقتى ووقته فيدخل إلى موضوعـه مباشرة دون لف أو دوران.

تقول زوجـتى فور عودتى إلى المنـزل كالغريق يشـتاق شاطئـاً.. أرضاً تلمسها قدماه.

ـ تعرف طبعاً أننا..

قبل أن تزيد حرفـاً واحداً أهوى بكلمتى على كلامها كـالحسام الصارم اقطع به أى محاولة للثرثرة من ناحيتها.

ـ نعم؟!

يرتفع صوتى قليلاً.

ـ كسوة شتاء أم صيف أم دخول مدارس؟ كم تريدين؟ قولى ما عندك فى كلمة واحدة وخلصينى..

تخبط زوجتى كفا بكف وتمصمص شفـتيها عجباً لذلك المخلوق (الذى هو أنا) وأحواله الغريبة وتقول وما تزال رغبـتها فى الكلام سهولاً خضراء لم تعرف حر الحريق:

ـ ما زلت ترى الحياة من تلك الزاوية الضيقة التى تعلمتها من عملك: المال.. الحـياة ليـست مالاً يا عـزيزى وحـسب.. الحيـاة قبل هذا وبعـد هذا.. إذا لم ترد أن تسمع. أنت حر. لكن أبناءك..

أقول نافد الصبر:

ـ ماذا بهم هم أيضاً؟

هذه المرأة وأولادها لا يقدرون دورانى داخل دولاب هذه الحياة كم يكلفنى من اعصابى ووقتى وراحتى.. كم يكلفنى من صحتى أيضاً.. لست أطلب منهم سوى بعض التقدير لأحوالى.. هكذا قدرنا [أقول لنفسى] تتحول الحياة بعد الزواج إلى عربة وحصان.. الزوجة والأولاد فى العربة والزوج هو الحصان.

اتذكر كمن يحلم تصوراتى عن الزواج ـ قبل الزواج طبعاً ـ وكيف كنت أراه قارباً يسبح فى سكون الليل يخترق نهر الحياة هادئاً رفيقاً نجذف فيه أنا وخطيبتى (زوجتى الأن) فتنبعث الموسيقى كوشوشات العصافير من حولنا وتهب.. بل تقبل موجات النسيم اطيافنا تباركنا.. لا مشاكل.. لا ضجيج ولا ألم.

اليوم تسألنى بعد تجربة عشرين عاماً فأجيبك على الفور أن اجمل حرفين فى اللغة خلقهما الله هما حزفا الكاف والنون.. باتران قاطعان حاسمان.. لا لجاجة ولا مماحكة.. هكذا يجب أن تكون علاقة الزوج بزوجته.. ولم لا؟ اليس هو القائد وهو المسئول.. لا مراجعة إذن وليكن ما يكون وقديماً قالوا: خير الكلام ما قل ودل.. وهو فى نظرى سر تقدم الدول الكبيرة وسر تخلف الدول النامية.. لأنه إذا كان الوقت يساوى مالاً فالزيادة فيه بلا مبرر كفتح صنبور يدفق ماؤه على التراب أو إضاءة

مصباح فى رائعة النهار.

وقفت أمرأتى إلى جوار المائدة تسألنى ماذا تعد لطعام الغداء اليوم؟

قلت متهللاً:

ـ آه لوقطعة من البفتيك المشوى أو فلتكن دجاجة بالكارى.. بل اجعليها بطة مشوية مع بعض الخضر·السوتيه والطماطم المشوى فى الفرن إلى جوار صحن من الأرز بالمكسرات أو المكرونة باللحم والخضر. ويا سلام.. يا سلام على صينية من البطاطس على الطريقة الإيرلندية أما الحلو فأنا أترك لك اختياره لأننى لا أحب كثرة الكلام.




أنا .. مثلاً !



- زوجتي مريضة!!

قلت متصنعا اللهفة: شفاها الله.. ماذا بها؟!

- مجنونة!.

قالها صديقي وزفر في ضيق ثم راح يحكي وأنا استمع بينما دهشتى تتزايد.. وحنقي ايضا..

قال يواسي نفسه: هي كما تعلم (قلت في نفسي ها هو قد بدأ يكذب فأنا لا أعرفها) بنت حلال.. طيبة، كريمة، سخية، بنت بلد خفيفة الدم وفيها شهامة أولاد البلد ورجولتهم (ورحت اقاوم ضحكة داخلي تريد ان تنطلق) تزوجنا بعد قصة حب سريعة.. هل حكيت لك عنها يوما؟.. هززت رأسي نفيا فراح يواصل: سارت حياتنا نعيما كالنسيم، كنا نرتشف الحب والحنان كعصفورين جميلين من عصافير الكناريا (ثم تحسس جزءا بارزا في رأسه من اثر ضربة) لم تكن تسمع لنا صوتا.. وكيف ونحن نؤلف لحنا موسيقيا مفعما بالهارمونية.. كانت وديعة كقطة رومية اليفة فوق مقعد «فوتيه» من القطيفة الحمراء فى ليلة شتاء بجوار مدفأة زيت كهربائية..

تنهدت قائلا وقد انفتحت شهيتي للاستماع:

- هيه.. وبعدين؟.

قال كأنما قد أفاق من حلمه علي صوتي: هيه ماذا؟!.

- ماذا بعد القطة الرومية وعصافير الكناريا؟!

قال كمن تذكر: آه.. لا شيء..

- لا شيء ماذا؟.. انتهت القصة تعنى؟!

قال مـؤكداً: لا لم تنتـه.. لكن القطة الرومـية الناعـسة هبت فـجأة فخمشتني وهات ياعض!!

قلت مستنكراً: هكذا بدون أسباب؟ لابد أن هناك سبباً!!

قال والبـراءة «تشر» من وجـهه: وهل تكذب اخـاك؟!.. صدقني لم افعـل شيـئا.. هي التي داخلهـا متـورم.. الان داخلها اعلي من جـبل الجيوشي.. حساسة الي حد بعـيد.. تتصور كل تصرف مني عدوانا علي قدس كرامتهـا أو نيلا من محراب كبريائها .. كـأنني أدخل معبدها أبحث عن مكان اقضي فيه حـاجتي!!.. وسامحني فالصورة كـريهة لكنها اقرب الي الصدق.. حـاولت مليون مرة أن اثبت لهـا ان محرابهـا هذا بيتي.. اتجول فيه بحريتي..

قلت مقاطعا: اسمع.. دعك من كتر الكلام واللت والعجن واجبنى: هل تحبها؟.

هز رأسه.. نعم.. جدا

- وهي .. هل تحبك؟.

- لا أشك لحظة واحدة، ثم أردف: لكنها مجنونة من عـائلة شمشون فيما يبدو.. تريد ان تهدم معبد حبنا فوق رأسينا وهي تصيح: علي وعلي حبيبى يا رب!!.

وكـرجل مجـرب أستطيـع أن أدعي الحكمة بين الحين والآخـر هززت رأسي قائلا: اسمع يا ولدي.. نحن نعيش عـصرا متوترا.. هل زوجتك تعمل؟!

قال متفاخرا: طبعا..

وطبعا - اضفت - فى عملها مشاكل.. خلافات.. صراعات؟!.

قال موافقاً: أكيد.. أقصد لازم طبعا.

أضـاف: لكنهـا تبالغ.. صـدقنى تبـالغ.. فى عـملى أيضـا مشـاكل وخلافات وصـراعات.. هذا شيء طبيعي لا يخلو منه عـمل لكنها تحمل مشاكلها معها.. نكد تتـغذي عليه.. نهاري أسود اذا حدث خلاف داخل عملها ولم تسر الأمور كما تحب.. ليلى كحل اسود من قرون الخروب اذا عـادت من عملهـا وشيء ينغـصهـا.. مرءوس عـارضهـا.. رئيس لفت نظرها.. اختلفوا في الرأي فلم يستمعوا لها..

مندفعا راح يواصل دون توقف: وصدقني ان معظم مـشاكلها تبدأ منها لتنتهي اليها.. وسأحكي لك واحكم انت..

هي إنســانة بسيطة ليـست معـقـدة وتحب أن تتعـامل مع الناس بقلب مفتوح.. عظيم؟..

- عظيم..

قلبها المفـتوح هذا يسقط المسافات بينهـا وبين الناس رؤساء ومرءوسين.. فتجـدها اليوم معهم سـمنا علي عسل فاذا ساروا علي مـذهب السمن

والعسل تداخلت أشياء كثيرة أولها العمل. وكيف تطلب من سمن وعسل الالتزام بمواعيد أو المحافظة علي حسابات أو لياقات أو أصول ما دمنا قد لخبطنا (أبو قرش علي أبو قرشين)؟! هنا «يا داهية دقى» يثور بحر غضبها وتصرخ عواصف ثورتها وتبدأ تشكو لطوب الأرض أن مرءوسيها لا يسمعون لها كلاما رغم أنها تعاملهم كأخواتها أو ابنائها..

«شغلها وهي حرة فيه» قلت هذا لنفسي مليون مرة.. وفي كل مرة أقول: كن عاقلا ولا تتدخل فتفسد الأمور.. هي ليست صغيرة وتستطيع أن تدبر عملها كما تريد وكما تري فهي أدري بظروف عملها.. ومعاونوها ورؤساؤها افضل منك بالتأكيد فلماذا تدعي لنفسك وحدك الفهم وبعد النظر وتنكره علي غيرك؟.. دعها تتصرف.. كن في حالك أحسن لك وفز بها زوجة محبة محبوبة وعش حياتك هانئا الي جوارها..

- لكن..

- أرجوك لا تقاطعني ودعني أكمل كلامي فأنا أكاد أطق من جنابي.. أرجوك..

- تفضل.

لكن ان ينعكس هذا علي حياتي نكدا وهما فهذا ما لا استطيع ان احمله.. لا انكر حنانها كزوجة تقوم بواجباتها نحوي كاملة وزيادة. ولا انكر كرمها وفهمها للاصول لكنني اشكو عدم «سماعها» لكلامي.. تطلب نصيحتي ثم لا تعمل بها.. ثم ـ وهذا هو المهم ـ انني أنا الرجل

الذي يجب أن تحسب له ألف حساب فلا تفعل ما يغضبني وتتجنب كل ما يضايقني! .

قلت مستفسرا: مثل ماذا لا مؤاخذة؟ .

قال يسكت سؤالي: هي فاهمة وهذا يكفي!

ما علينا - قلت - ثم ماذا؟ .

قال: انا مثلا كرجل شرقي تربى علي تقاليد محافظة اكره في المرأة صوتها العالي وزوجتي من ذوات الصوت العالي، كما أكره فيها الضحك من غير سبب. . وهي كثيرا ما تضحك لمجرد أن تضحك وهذا يلفت اليها الانظار بشدة مما يسبب لي أشد الحرج!

قلت: هي «ست» بحبوحة ولا شك!

قال: ليست هذه «بحبحة». . ضحكها يجب أن يكون لي وحدي فأنا صاحبها كلها «شروة» بضحكها وحبها ونكدها. . أم أن نكدها لي. . وانبساطها للناس؟! .

قلت: عيب لا يجوز طبعا.

وأردفت أطيب خاطره: لكنكما كما فهمت منك حبيبان لا تزالان. . هي تحبك وأنت تحبها وهذا يكفي ليفتح أمامكما طريقا مفروشا بالورد والنور. .

قال في اصرار : الحب وحده لا يكفي يا أستاذ . . لابد من الاحترام ايضا. . الاحترام أرضية من الاسمنت المسلح تبني فوقها من الحب مائة

دور لا يصدر ضدها قـرار إزالة مهما طال الزمن. . أما الحب وحـده فهو مجـرد «شبـرقة» . . إناء زجـاجي ملون تكسره خـبطة رغم جمـال لونه وزخرفته. . بالونة تفرقعهـا شكة دبوس. . الاحترام يا محترم هو الحضن الذي يحـمي كل هذا . . هـو حوض الـزهور الذي كـتـبـوا عليـه ممنوع الجلوس علي الخضرة أو ممنـوع الاقتراب والتصوير . . لماذا؟ . . لحـمايته طبعا!!.

قلت مـحـاولا ان انهـي الحـوار لأريـح رأسـي الـــذي بدأ الصــداع يتسلل إليه:

- ولماذا تقـول لي أنا كـل هذا الكلام؟ لماذا لم تقله انت لـهـابنفـسك فانتما ولا شك اقدر على التفاهم المباشر فيما بينكما؟!.

قال وفي صوته ما يشبه الرجاء: لكي تنقل اليها انت كلامي هذا لأنني لا استطيع!.

- ولماذا لا تستطيع؟

- لأنها طردتني خارج المنزل. . فهمت الآن يا أستاذ؟! هل ارتحت؟!.

قلت والضيق يخنقني: ولو ان هذا الكلام لن يسرها أبدا بالطبع لكنني سأقوله لها سأضيف. . اليه من عندي - بعد اذنك - انها حتي وإن كانت وردة فهي تحتاج إلي من يشمها وقد كنت أنت الوحيد الذي يشمها. . فهي لابد تعلم أن الوردة بدون مـن يشمـهـا لا تزيد كـثـيرا علي عـود فـجل «دبلان». .!! هل ارتحت أنت الآن؟!.

قال وهو يتحسس رأسه: جداً!!


لكز.. يلكز.. لكزاً!
CNN

قالت زوجتى معاتبة وسحب الغـضب تتجمع فى وجهها: «يا خويا كل الناس جابت الـ سى إن إن إلا احنا». . ثم أضـافت تعد على اصابعـها: «الست عدالات جارتنا بـسم الله ما شاء الله جوزها جابهـا لها هوا والبت المفعوصة اللى بتشتغل فى شركة السياحة جابوها برضه وام حمادة. .

انتفضت فى مقعدى اوقف هذا السيل الذى بدأ ينهمر ليقطع على متعة مشاهدة المسلسل: يا هانم (وهو لقب اناديهـا به فقط فى حالات الغضب) افهمى. . انت متجوزة موظف درجة أولى محترم موش كهربائى!

غمغمت تقول شيئا اظنه كان «بلا وكسة». . أو شيئا من هذا القبيل. . ابتلعت الكلمة على مضض مؤثرا الحل السلمـى ككل مرة خوفا من نتائج ثورتى التى تنتهى دائماً فى غيـر صالحى وقد بدأت احس سخونة فى اذنى فرحت ابرطم كلاما عن الصبر وكظم الغيظ. .

قلت فى نفسى «ماذا تكون هذه الـ سى إن إن؟ لابد أن اعـرف خبرها فورا، ولهذا كلام سوف نقوله بعد قليل. .

. . . .

كـالديك الرومى جلس المعلم قورة مـنتفـخا مـعطيا ظهـره لكل زبائن المقهى يراقب الولد نجـاتى وهو يضبط التليفـزيون النصر العشـرين بوصة الوان الجديـد على محطة الـ سى إن إن. . سـأل المعلم: «هى دى بقى؟ متعجباً قالها فخوراً بأنه حصل عليها. .

رد الولد نجـاتى مـزهوا بشطارته: هـى يا مـعلم. . وغـرق المعلم فى

الصمت المتأمل فترة يتابع صورة الحرب ويسمع الكلام الانجليزى اللبلب.. اراح خرطوم الشيشة فوق المنضدة الرخامية وقد انفصل عن كل ما حوله.. زفر بارتياح الواثق ثم قال: «هى حلوة صحيح بس ناقصها حاجة مهمة خالص.. تعرفوا ايه هى يا حضرات؟

قلنا جميعا فى نفس واحد: إيه يا معلم؟ قال دون ان يرمش له جفن: مسلسل حلو من اياهم!!

وانفجرنا جميعاً ضاحكين..

قمت من مقعدى اسحب الولد نجاتى بعيدا اسأله ان كان يستطيع ان يضبط تليفزيوننا على محطة الـ سى إن إن..

رد نجاتى بشهامة: امال يا استاذ.. عينينا لحضرتك.. يا سلام.. ثم فرك يديه مستبشرا..

....

لكزتنى زوجتى فى كتفى برقتها المعهودة قائلة: يا راجل قوم اتحرك اعمل حاجة بدل قعدتك دى قدام التليفزيون اللى لا تودى ولا تجيب.. لكزتها الرقيقة كادت تلقينى على وجهى..

بجد.. غضبت هذه المرة.. وسألت نفسى: ماذا تريد هذه المرأة «النكدية»؟ طلبت الـ سى إن إن وها هى الـ سى إن إن!!

قلت لها هادئا منحنيا امام العاصفة التى اعلم انها تتجمع الان لتهب: يا ستى سيبينى اتابع الاحداث.. خلينا نعرف ايه اللى بيحصل..

مصمصت شفتيها ساخرة «احداث!!» ثم أردفت: «ياراجل قوم شوف اكل عيـشك.. ذاكر للولاد.. اشـخط فيهم.. اعـمل حاجـة تنفعك.. ثم.. وكانما اكتـشفت فجأة ما يمكن ان يشـغلنى: والا اقول لك؟.. قوم شوف حنفية المطبخ اللى ما بطلتش رخ من امبارح!

ولأننى اعلم تماماً إنهـا لن تتراجع فقـد قمت احمل المفتـاح الانجليزى وجلد الحنفية كأى سباك افرنجى متوجها الى المطبخ وعيناى مازالتا معلقتين بوجه المذيعة البيـضاء ترطن بالانجليزية كعصفـور الكناريا قائلا: تعرفى.. برضه المحطة دى موش حاجة.. ناقصها حاجة مهمة جداً..

قالت وصبرها يكاد ينفد من لكاعتى «ناقصها إيه إن شاء الله؟

قلت منهيا الحديث: مسلسل جامد كده زى فالكون كريست!!




هل الدنيا طارت ؟!

تعتقـد زوجتى أننى أستطيع أن أحل مشاكل الكون لا مـصر وحدها، ويشاركهـا هذا الاعتقاد بعض أولاد الحلال من الجـيران والمعارف يأتى فى مقدمتهم الأوسطى محمود الحلاق!

تقـول زوجتـى ذات يوم ونحن فى البلكونة نتناول قـدحين من شـاى التموين المعتبر:

ـ اسراف.. وإهمـال! تصور.. أمس ظلـت أعمدة النور فـى الشارع كلها مضاءة طوال النهار.. وفى الليل اطفأها.. فوضى!

ثم تنفخ فى زهق وتلتفت نحوى غاضبة:

ـ أكتب عن هذا الموضوع ليعاقبوا المسئولين عنه..

ـ حاضر!

ويميل فوقى الأسطى مـحمود حتى يكاد يسقط بينمـا هو يدعك مابقى من شعر رأسى بكولونيا أظنها من ماركة «ليالى الأنس» ينحنى هامسا يقول كمن يفضى الى بسر الأسرار:

ـ لم يكن هو اللص الذى حـدثتك عنه.. ظلـمناه بعد مـا أكل علقـة تكفى كفرا بزيه..

اتساءل متصنعا الدهشة محاولا أن أهرب من مدافع فمه:

ـ ومن يكون ياترى؟

وتنجح خطتى إذ ينتصب واقفـا خابطا ظهر المقعد بكف كـالرحى فأكاد

أطير من فوق الكرسى:

- هنا بيت القصيد.. من يكون اللص؟

مستأنفا كمن يهدينى الفكرة مجانا:

- أليست هذه الفكرة تصلح لواحدة من قصصك؟ أكتبها.. من يكون اللص؟. والباقى من عندياتك فأنت أبو المفهومية!

وأعود ذات ليلة أجر قدمى فوق سلم لاينتهى أكاد أظن لفرط طوله أنه سلم المجد فأجد زوجتى فى انتظارى جالسة تنفخ فوق المقعد الفوتيه.. تهب حين ترانى لتطلق رصاص كلماتها مع زفراتها:

- المهاويس.. تفاهة.. ذوق فج.. من سمح لهم؟

وأحاول ولو بالاشارة أن أفهم حرفا مما تقول.. لكنها تقاطعنى مواصلة:

- هذه الموسيقى الصاخبة.. خبط.. رزع.. كيف نعيش؟.. أين الشرطة؟ أين الأخلاق؟.. لماذا لا يصادرون هذه الكاسيتات ؟ لماذا لايلغون التسجيل من السيارات؟ لماذا لايلغون وقوف النواصى؟ لماذا لايعدمون رميا بالشرائط كل من سمى نفسه مطربا والأجدر أن يكون مناديا على خضار؟!

كالقرار تطلق آخر كلامها:

- أكتب عن هذا

ـ حاضر!

ـ حاضر هذه بدون نتيجة لاتنفع!

وتتوالى خبطاتها على المنضدة فتهتز النظارة والأقلام.. واتظاهر بعدم الاكتراث ورباطة الجأش فهكذا تعلمت من والدى يرحمه الله : أن أكون رابط الجاش.. ولأننى أربط جاشى دائما فقد سمعتها دون أن أحرك ساكنا بينما داخلى كله كطبق الجيلى لم يتماسك بعد.. قالت:

ـ وحفرة شارع الصهاريج التى سقطت فيها العام الماضى، وكادت تزهق روحى.. هل ردموها؟.. لم يحدث!

قلت مستدركا:

ـ لكننى كتبت كما اقترحت!!

قالت مشوحة بطول ذراعها:

ـ يافرحتى.. وماذا فعلوا بعد أن كتبت.. هه؟ لم يعر مسئول واحد ماكتبت أى اهتمام وكأنك تؤذن فى مالطة أو تكتب على مياه المحيط..

قلت والاحساس بالاهانة يزحف فوقى كنشع ماء الصرف الصحى:

ـ لكننى ياهانم كتبت فى موضوع نقل مجزر الزيتون.. وها أنت ترين استجابة المحافظة لكلامى.. كلنا شاهدنا البلدوزر قبضة الهلالى.. أقصد قبضة الحكومة وهو يدك معاقل المجزر العتيد فيحيلها انقاضا.. أليس هذا دليلا على استجابة المسئولين لما أكتب؟!

قالت وهى تدارى ضحكة أعرفها:

ـ بلا خيبة ! هل نسيت؟ يارجل انت كتبت عن هذا الموضوع نعم ولكن عام ٧٤ أيام كان المحافظ اسمه بغدادى.. هل تسمى مايحدث الآن «استجابة» لما كتبت؟

قلت متشبثا بآخر فرصة لكرامتى:

ـ صنعاء وإن طال السفر!.. نعم.. إعط الحكومة فرصة للدراسة.. لاتخاذ قرار مستريح غير متسرع.. بدون لهوجة.. على «مية» بيضاء.. آفتنا هى التسرع.. نصدر الحكم أو القرار ثم «نلحسه» لماذا؟ لأننا تسرعنا فيه..

أضفت مؤكدا وشىء داخلى يريد أن يغلق فمى:

ـ قرار مثل هذا يحتاج ولابد لجلسات ومشاورات ومناقشات وأوراق وموافقات واعتمادات واشارات.. ليست المسألة سلق بيض، كما قد يظن بعض البسطاء أمثالك.. لا.. لا.. المسألة أكبر وأخطر كثيرا.. أنت مثلا..

متحفزة لرد الهجوم استدارت تواجهنى:

ـ أنا ماذا؟

ـ أنت مثلا.. انظرى كم زيارة تقومين بها للمحلات لشراء بلوزة أو حذاء.. كم يوماً من البحث والسؤال والمقارنة والفصال والفرجة ثم

تشتـرين أو لا تشترين أفلا تعـذرين الحكومة اذا تأخرت عـشرين سنة فى هدم مجزر . . مجزر وليس عربة بطاطا؟!

قلت مواصلا وقد انفتحت شهيتى للكلام:

ـ ثم لماذا المجـزر؟ لماذا لاتنظرين الى قـرار محـطة الشرب فى حـوش عيسى الذى اسـتغرق ٧ سنوات والقرض عندنا عـمره ١٠ سنوات. . هل سـألنا أنفـسنا لمـاذا؟ . . لأننا نحب أن نصنع كل شىء عـلى نار هادئة . . هكذا حكومـة الدكتـور . . شعـارها فى التأنى السـلامة . . والعـجلة من الشيطان وامش سنة ويامـستعجل عطلك الله! . . وأخبـرينى بذمتك: هل سمـعت فى حياتك مثـلا واحدا يزكى السرعـة أو يحث على العجلة التى فيها الندامة؟! لماذا نلوم إذن الرجل الطيب ونتـهمه بالبطء فى اتخاذ القرار ثم البطء فى التنفيذ. . هل الدنيا طارت مثلا؟! عجيبة!

قالت وقد فاض بها من سفسطتى:

ـ اسمع. . هذه الحكومة يبدو لا تريد للمشاكل أن تنتهى حتى لا ينتهى عملها. . وإلا فلماذا تبقى إذا انتهت المشاكل؟ . . ستأتى بعدها على الفور «حكومة عدم المشاكل». . هل فهمت؟!

زى الناس !





شبكت حـرمنا اصابع كفـيها فى حـجرها وقالت وقـد سددت عينيـها نحوى:

- إحنا لازم نشوف لنا شقة!

مصيبة!!

مغص فى باطن الأرض يـزلزل حياتى.. يهـزنى كالشخـشيـخة فى يد طفل ارعن.. هل لهذا سموه زلزالا؟!

قلت «مستهبلا»:

- إزاى يعنى؟

ردت فى ثبات:

- زى الناس!

هكذا تحسم هى الأمور.. كـلماتها كرخات رصـاص من مدفع رشاش فى يد جندى أعجبته اللعبة فوضع أصبعه على الزناد ولم يفكر فى رفعه!

قلت «متمحلسا»:

- العمارة كالفل!! سمـعت بنفسك مهندس لجنة الحى اثناء المعاينة وهم يقـررون حالتهـا.. مجـرد شروخ بسـيطة فى الحوائط وكـسر بسـيط فى عمودين والكمرات وتشققات فى السقف وتصدع لا يذكر فى السلم..!

اضفت مهونا:

ـ وماذا يكون هذا إلى جوار الكوارث الحقيقية التى نسمع عنها؟!

خبطت صدرها بكفها فشخللت اساورها الذهبية التى اشترتها من عملى فى الخليج.

ـ هل تريد أن تجننى يا رجل؟! السكان جميعهم يبحثون عن شقق إلا انت.. هل تريد أن تقتلنى تحت انقاض هذه العمارة «الكهنة» لتتخلص منى؟!

نهنهت كعادتها قبل إعلان إنتصارها الاخير:

ـ لابد انك تريد أن تتزوج غيرى.. تلعب بذيلك من ورائى ووجدتها فرصة هبطت عليك من السماء لتحقق اغراضك الدنيئة.. إرتفع نشيجها:

ـ ليتنى سمعت كلامك يا ماما..

استدارت نحو الباب واصبعها كإبراهيم باشا يؤمن على كلامها:

ـ تخرج حالا تبحث عن شقة.. الفلوس تأتى من تحت الأرض.. تنفقها علينا افضل من انفاقها على زوجة ثانية خائبة مثلك.. فاهم؟ يالله!!

ـ حاضر.. حاضر..

قلتها لتسكت وانتفضت ابحث عن ملابس الخروج لأقطع هذا الفاصل التراجيدى الذى بدأ وأعلم انه لن ينتهى إلا برفعى الراية البيضاء خفاقة

تعلن للجميع كم أنا طيب ومسالم ولكن من مـوقع القوة. . اقولها لنفسى كحيوان جريح يلعق جرحه النازف فى محاولة لايقاف الدم. .

مشوار طويل عـمره اربع سنوات قضيناه نبحث عن شـقة تؤوينا قابلنا خـلالهـا الوانا من البـشـر لم نكن نتـصـور مطلقـا انهـا يمكن ان تكون موجودة. . سماسرة. . ملاك. . بوابين. . حتى جاء علينا يوم تصورنا فيه اننا لم يعـد امامنا سـوى ان نسـتقـبل الوافدين عـلى القاهرة فى مـحطة رمسيس لنسألهم عن شقة فى أى مـحافظة غير القاهرة التي أغلقت ابوابها وشبابيكهـا فى وجهينا. . تذكرت هذا كله وأنا استعـد لابدأ رحلتى الثانية فى ظروف اشد قسوة باحثا عن شقة من أول وجديد

«ثانى؟!»

قلتها لنفسى وأنا اهبط السلم الذى حذرتنا منه اللجنة. . تسحبت كقط مدرب نازلا بحـذر خوفا من تداعى السلم فـأكون انا أول ضحايا عـمارتنا التى كلفتنى إحدى شقـقها دم قلبى. فى نور الشارع لمعت فى ذهنى فكرة خبيثة ابتسمت لها ابتسامـة شيطان تحت التمرين فقررت على الفور تنفيذها بلا ابطاء. . ساجلس مـستخفيـا على أحد المقاهى بعد عـودتى من عملى اتناول غدائى من الساندويتشات احبس بعدها بالشاى والبورى. . فإذا جاء المساء عـدت إلى بيتى متهـالكا. (كده. . وكده) لأقص على زوجـتى انباء رحلتى المضنيـة فى البحث عن شـقة تليق بهـا. . ولا بأس من آه هنا وآه هناك من آلام ساقـى وقدمى اللتين تعبـتا من طول المشـوار!! ستـواسينى

زوجتى بالطبع مشجعة من أجل مـواصلة كفاحى برجولة زوج شهم يقدم أسرته قبل أى إعتبار . .

واتصور نفـسى مثلا أحكى لها وكـوب شاى ساخن يجمعنـا عن شقة عين شمس . . صـحيح واسعـة ـ ساقول ـ لكـن الحى . . ياى من الزحام والضـوضاء والعفـار . . اولاد كالعـفاريت والنـاس تتخـبط فى شوارعـها الضيقة «ليست كشارعـنا بالطبع» . . أو أحكى لها عن شقة مدينة نصر فى الدور العاشـر والهواء الذى يرد الروح هناك . . لا . . بل والمنظر المفـتوح الذى تطل عليه . . لكن! . . لكن مـاذا؟ ستهتف زوجتى بـكل اللهفة . . سأرد وكلى أسف: لو لم يكن ذلك الشرخ الذى حاولوا اخفاءه عنى لولا اننى بعينى الخـبيرة لمحـته لتعاقـدت معهم على الفـور . . وهل انا مجنون لأعرض اسرتى واطفالى حبايبى لأى خطورة مهما تضاءلت نسبتها؟!

سأقولها بكل جد ووقار ورزانة وستهز زوجتى رأسها موافقة . .

انقـضى الاسبـوع الأول على خـير لولا ـ اعـتـرف ـ جوعى الشـديد لاغفاءة القيلولة التى وجدتنى أمارسها ـ رغما عنى ممددا ساقى امامى فوق الرصيف لأصحو مذعورا على هزات فظة من جرسون احمق:

ـ تشرب حاجة يا استاذ؟!

وأجدنى أرد عليه دون تفكير كاننى أنشه بعيدا ليغور:

ـ شاى . . شاى!!

وهو شاى مقرف لا جدال فى هذا . . والذى يحز فى نفسى بكل اسى هو شوقى للطبيخ من يدى حرمنا . . ذلك الطبيخ الذى كنت اشبعه تهكما وسخرية وانتـقادا كان يعرضنى احـيانا كثيرة للخطر الـذى لا يسمح المقام الآن بوصفه .

انقضى الاسبوع الأول وأخبار الشقق التى اقدمها لزوجتى جميعها تسد النفس حتى فاجأتنى ذات ليلة وابتسامة خجلى تطل وتختفى فوق شفتيها :

ـ لن نبرح شقتنا !!

هتفت متصنعا الدهشة مخفيا فى الوقت نفسه فرحتى وشعورى بالراحة القادمة :

ـ يا شيخة !!

هزت رأسها مؤكدة :

ـ صحيح . .

واصلت مدعيا الجزع :

ـ لا يمكن . . لن اعرضكم للخطر . . سـأواصل بحثى ولو . . اسكتتنى بكلمة منها كالسكين .

ـ خلاص . . قلت لن نبرح شقتنا . . انتهينا

ـ رددت خلفها مؤمنا : انتهينا . .

اردفت متسائلا والقلق يساورنى ورغبة حقيقـية للمعرفة يدفعها فضولى تتفتح داخلى:

ـ لكن.. لماذا؟

قالت بهدوئها الذى يفرس

المهندس الذى اتت به ماما طمأننى.. قال لا خوف على الشقة..

اضافت وكفها المفتوحة امام وجهى تستحثنى:

ـ هات بقى الفلوس التى كنت ستدفعها «خلوا» للشقة الجديدة!!


إرباً .. إرباً !



قنبلة موقوتة هذه المرأة لا أعرف مطلقا متى تنفجر. . ولست ألمح هنا الى عصبيتها المفرطة التى تصل أحيانا كثيرة الى أرقى وأنقى أنواع الجنون المصفى الذى لم تهضمه بعد كتب الطب الباذنجانى. .

سراى عباسية صفراء هى ولن أتمادى فى ذكر أوصافها مخافة أن يتهمنى بعض من هم على البر بالمبالغة وسأدخل فى الموضوع مباشرة. .

كبلبلين قد نجلس أمام التليفزيون وصفو الحب يجمعنا. . الحقيقة أننا نجلس كبلبل وبطة لفارق الحجم بيننا ـ فجأة تبدأ العاصفة فى الهبوب من مكان ما داخل رأسها الذى تمنيت يوما أن أدخله لأرى مافيه!

هل يمكن أن توجد الجنة والنار فى نفس المكان؟!

سؤال سألته يوما لعالم جليل. . هرش الشيخ رأسه. وأعاد العمامة الى موضعها ثم قال : سبحانه خالق كل شىء. . يقدر على كل شىء. .

تردد قليلا ثم سرح بعيدا وقال: علم ذلك عند ربى. . لكننى لا أتصور الجنة والنار معاً. .

لماذا ؟ بكل حرقة هتفت: لماذا؟

قبل أن يفتح فمه كنت أقول : لأن الجنة لن تطفىء النار. . لكن النار هى التى ستحرق الجنة. . هذا هو مايحدث لى يامولانا.

نظر إلىّ الشيخ نظرة طويلة وهويبتعد وفى عينيه معنى واحد يقول:

سلام قولا من رب رحيم. .

هكذا بلغ بى الحال. .

تهب فجأة - زوجتى أو العاصفة فهما واحد - ناتشة كفها من كفى أو رافعة رأسها من فوق كتفى مسددة نحوى عينين تتنطط فيهما الشياطين الزرق قائلة:

- قلت لى بقى كنت فين امبارح من ستة ونص لسبعة الا اتناشر دقيقة؟!

كالدائخ من لكمة خطافية مفاجئة انظر صامتا فتضيف بصوت يسرسع عند الغضب:

- حضرتك ماكنتش يعنى على مكتبك لما طلبتك؟!

تسعفنى بديهتى فأرد على الفور:

- كنت فى الحمام باعمل زى الناس!

تقول وهى تتصعب:

- ناس؟! وهو أنت تعرف ناس؟!

آه. .

أردد فى نفسى. . ستبدأ الآن فى كنس أفراد عائلتى الكرام ثم تعرج

بعد ذلك على قائمة اصحابى «القشاشة» كما تسميهم. . وبالطبع لن يسلم زملاء العمل من بعض فيض كرمها لكننى ـ فى نفسى اللئيمة أحيانا ـ لا أستطيع أن أمنع نفسى من ذلك الشعور اللذيذ بالشماتة فيهم. .

فى لحظة تحجب سحب الشك وخفة العقل شمس حبها وحنانها لتبدأ ترخ أمطارها الحمضية. .

ياسبحان الله. .

أقول. . كيف يمكن أن يكون رد فعلى الآن. . هل أفرد طولى واتمطى لأصفعها فتسكت. . وإن كنت أعتقد أنها لن تسكت خصوصاً بعد تلك الحادثة الشهيرة التى رفعت فيها كفى ـ مجرد رفع ـ لم تنزل بعدها. . لأجد قمصانى ـ عينى عينك ـ نتفا صغيرة وهى توالى تمزيقها وليس على لسانها سوى كلمتين ظلت ترددهما حتى ظننتها المونولوجست ثريا حلمى وهى تردد مونولوجها المشهور «انت تزقنى؟ فشر. . انت تهمنى؟»

قالت زوجتى وصهد أنفاسها يحرق الغرفة «أنت تضربنى؟!»

نظرت الى كفى المعلقة فى الهواء. . ثم وبهدوء انزلتها الى جوارى حتى لاتضبطها متلبسة بامساك سكين مثلا لتتحول جنحتى الى جناية! ستسألون وما سبب هذا كله؟!

سؤال وجيه. .

جـوابه ظلت هى ترده على كل من عـينتـهم شهـودا على رجـعيـتى وتخلفى وهلاوسى التى أحلم فيها بأن أكـون سى السيد وتكون هى أمينة التى تسقط من طولها اذا نظرت اليها . .

مظلوم ياناس . . وأى ظالم حـتى هولاكو لابد وأن يتـحول إلى بائس هوجو الى جـوار هذه السيـدة التى يتحول الظلم عندهـا الى متعـة العمل الفنى المحكم . .

أمرى الى الله . . وانحنى أجمع أشلاء قمصانى قائلا لنفسى: والله . . لولا اننى أحـبهـا لكنت مزقـتهـا اربا . . اربا . . قمـصانى طبـعا وليـست زوجتى!


قسمتى !



قالت لـزوجها: اليـوم راحتك.. نذهب الـى السينمـا.. افعلهـا مرة واحدة فى حياتك يا رجل وقم «فسحنى» مثل خلق الله!!

قال الرجل لزوجته: افسحك ولا استريح؟! الرحمة يا مدام.. اسبوع طويل عريض مـن «الشقاء» الأصلى فى الوزارة بين طـلوع سلالم ونزول سـلالم ودخـول مكاتب ومـقابلـة موظفـين ومواطنين وصـداع ودوشـة دماغ.. ثم تبخلين عـلي مخلوق مسكين مثلى بيوم راحـة أنامـه فى بيتى فى هدوء؟!

نفـخت الزوجة فى زهق وخـبطت راحتـيهـا فى حجـرها ثم هبت فى ضجر قـائلة: هكذا قسمتى معك.. حظى أنـا قليل.. كان يوما فى لون قـرن الخروب يوم رضـيت بك زوجا.. مـوظف مـحدود الدخل عـديم الطموح لا تنفع فيه الخصخصة!!

تلفت الرجل حوله مـذعورا: خصخصـة؟! من أين لك الكلمة؟ هل تقـرئين الجـرائد دون علمى؟.. آه.. لابد انه التليـفزيـون الجبـان الذى يسرب إليكم مثل هذه الإسرار الوظيفية الخطيرة!! الخوف أن تكون الكلمة وصلت أيضاً إلى الأولاد.. ومن يدرى.. لعلـهم أيضاً سيسـألوننى يوماً عن البوسنة والهرسك ومقهى وادى النيل!.

زغر الرجل إلى زوجته زغرة شديدة ثم قال مهدداً: إياك أن اسمع مثل هذا الكلام هنا مـرة ثانيـة.. واحتـرسى أن يبلغ مـسامع الأولاد.. قـد حذرتك وانت حرة ويكفينا مانالنا من «الجرىء والجميلة والثعلب»!!

اعتـدل الرجل ثم وضع ساقـا فوق ساق قـائلا فى ثقة: انت طبـعاً لا تعلمين أن زميلا لنا احيل إلى التحقيق بسبب مسلسل الثعلب؟ معذورة.. جاهلة!

قالت الزوجة متهكمة: قل يا فالح.. هذا هو كل ما تجيده!

اردف الرجل كمن لم يسـمع: بحسن نية.. أى والله بحسن نـية كان الرجل يسأل زميلا له هل رأى حلقة أمس من مـسلسل الثعلب؟ ستقولين ومـاذا فى هذا؟ معـذورة لأنك لا تعلمين ان حظ زمـيلنا النكد كان فـوق رأسه ذلك الصباح لأن مديرنا العام كان يمر إلى جواره بالمصادفة!!.. نظر المدير إلى زمـيلنا الذى نهض تصطك ركبـتاه قـائلاً: أنا ثعلب يا افندى؟! قال زميلنا واسنانه تتخبط: انه المسلسل يا سعادة البك!

التـفت كف المدير العام حـول رقبـة الزمـيل المنحوس وزأر: وتشـاهد المسلسلات أيضاً؟!.. قل هذا الكلام فى التحقيق يا أستاذ!

مطت الزوجة شفتيها فى قرف قائلة.. ومديرك العام أيضاً لن تنفع فيه الخصخصة!!


جلدة للساعة ..
حجـر ولاعـة !!



إذا كنت مثلى ممن يركبون المواصلات العامة واظنك منهم. فلا شك أنك ستفهمنى بسرعة.

قد تجلس سعادتك ـ يا بختك ـ فى الاتوبيس، أو تقف ـ حظك كده ـ فتفاجأ بشىء قد سقط فى حجرك وكأنه عطية السماء قد القيت إليك فى يوم مستجاب الدعاء، وتنظر فتجد باكو اللبان أو النعناع أو ورقة سكر النبات.. وشحطا طويلاً عريضاً هادىء النظرات واثق النفس ينظر إليك ينتظر منك رد الفعل ـ أى رد فعل ـ على كريم اهتمامه بك وايثاره لك ـ دون غيرك ـ بالنعناع. ويمد لك يداً تستحق القطع مطمئنا إلى أنك لن تردها خائبة، وياويلك لو فعلت، فلا أقل من أن تقبل منه زغرة تثنيك عن أى تفكير آخر عدا الاستسلام لطلبه بدون قيد أو شرط.

وقد تسمع شهقة لسيدة جالسة ـ لاحظ أنها خرجت قبلك لتلحق هذا المكان ـ وتسأل أو تبحث عن سرأ الشهقة فتكشف أنها ـ أيضاً ـ اكتشفت شيئاً تحت ساقيها، فلما نظرت رأت أخا لها فى الإنسانية يزيحها بيده زاحفاً بين الأرجل والسيقان يريد المرور ماداً يده «بسورة يس ودعاها» أو «بالسبع آيات المنجيات» أو «الحصن الحصين من كتاب رب العالمين».

وقد يصادف ـ كما حدث لى ـ أن يجتمع فى الاتوبيس الواحد مؤتمر التسول الموسع بكامل هيئته، وياسعدك،فساعتها سيتاح لك ما لم يتح لغيرك من هذا الجانب المهجور من الفولكلور، وستسمع فاصلاً من الأدوار والطقاطيق والموشحات من مختلف المذاهب والمقامات الموسيقية تغنيك عن «خبط» مشوار لفرقة الموسيقى العربية فى الهرم..

قد تسمع مثلاً دور «عاجز ومسكين» أو موشح «عيان ولسه خارج من المستشفى» وتكون محظوظاً فعلاً لو شنفت آذانك وسرت عنك ـ فالسكة طويلة ولا بأس من الترويح ـ طقطوقة «حاجة لله يا أسيادى». . ولا تملك فى النهاية وأنت تهبط من الأتوبيس فى ختام رحلتك السعيدة إلا أن تحاول أن تتذكر أين قرأت ذلك الخبر عن جمع المتسولين وتصنيفهم لتشغيلهم، وتزداد حيرتك، فنفس الوجوه التى أصبحت جزءاً من حياتك هى نفسها تراها كل يوم. . تقول فى نفسك لتقنعها: لابد أن منطقتنا لم يصبها الدور بعد، وكل هذه الأعداد التي جمعوها على صفحات الصحف قد جمعوها من المناطق حولنا. . لكن ـ تقولها لتطيب خاطر نفسك ـ حتما سيصيبنا الدور فلا بأس من انتظار قليل. . لا بأس وها هى ٦ مدن جديدة تبدأ فى الخروج إلى النور تحتاج إلى آلاف الأيدى العاملة ولسنوات طويلة قادمة تكفى لقطع دابر هذه المهنة اللعينة وساعتها لن تجديداً تمتد إلا لتبنى، لا نها لو امتدت لغير ذلك لسحبوا صاحبها منها إلى الصحراء مستقبل مصر.

ملحوظة: لست أقصد بكلامى هذا عن التسول مئات السريحة الشرفاء من باعة السلع الحيوية كالامشاط والفلايات العضم والثلاثة أقلام بشلن، أو موردى جلدة الساعة وحجر الولاعة. . اطلاقاً. . حاجة لله. . آسف. . حاشا لله!


الأرنب بحاله



تسألنى ابنـتى لماذا أنا أموت فى الأفلام المصـرية القديمة وأفـضلها الف مرة على أفلام الأوسكار ونادى السينما . .

ولا أجد سوى هذه القصة أحكيها لها فـربما تفسر بعضاً من أسباب هذا الحب وليس كله . .

أقول لها :

شاهدت مـعى الفيلم القـديم« ليلة ممطرة» بطولة يوسف وهبى ومنسى فهمى واسطفان روستى وليلى مـراد . . ولعلك تذكرين ذلك المشهد الذى يجلس فيه ابن آوى [لعله الضبع] السينما المصرية الراحل اسطفان روستى أمام سندريلاً زمـانها ليلى مراد ينظر إليـها بعينين ثعـبانيتين ويقول مـهدداً بكشف علاقتهما أمام زوجها يوسف بك :

ـ أنا يلزمنى فلوس عشان أسافر وماتشوفيش وشى تانى . .

ترد السندريلا فى براءة .

ـ كام يا على . . قول . . يلزمك كام؟

يفاجئها على [اسمه فى الفيلم] بالمبلغ :

ـ يلزمنى عشرين جنيه!!

جسـامة المبلغ تجفـل لها ليلى مراد . . لكنهـا حسمـاً للموضـوع ومنعاً للفضيحـة والشوشرة تقدم له المبلغ وهى تنذره بأنها آخـر مرة يطلب منها فلوساً وآخر مرة ستدفع له . .

لكن على من؟!

وحيـاتك.. يعود اسطفان بعـد فترة [صـرف الفلوس طبعـاً] ليواصل ابتزازه الدنىء لها..

أصابعه الخبيثة تربت على خطاباتها فى جيب معطفه الداخلى.. وتفهم هى مغزى الاشارة ويرتجف قلبها هلعاً..

يقول بكل جسارة وبقلب من حديد بارد:

ـ أنا يلزمنى فلوس!!

تسأله هذه المرة وقد تلبش كل جسمها بالخوف:

ـ كام يا مجرم؟!

يقـول بكل تباتة وعين قـوية وقـد انتوي أن يكسـر ظهـر بنت الباشـا الاقطاعى الغنى.

ـ يلزمنى مائتين جنيه!!

كالمصعوقة تقف الفريسة أمام الوحش.

ـ مائتين جنيه؟!!

ترد عليه وأنفاسها تهرب منها

ـ لكن أنا ماعنديش المبلغ ده!!

ولا يتزحزح هو عن موقفه

ـ مائتين جنيه!!

إزاء اصراره المجرم لا تجـد السندريلا الغلبانة أمامهـا سوى أن تجمع له المبلغ بأى شكل وتسـتكمله ولو ببعض من مجـوهراتها حتى تسـتريح من وجهه القبيح. .

● ● ●

اتفرج على الفـيلم وابتسـامة راحة كـبيرة تفـرش نفسهـا على وجهى وأمتلىء بالسعادة. . بينما تدور فى رأسى الحالم مقارنة صغيرة. .

لو أننا ـ كعادتنا هذه الأيام ـ أعدنا تصـوير هذا الفيلم مرة أخرى بمنطق العصر. وتصورنا عادل آدهم ـ مثلاً يعنى ـ يجلس أمام ميرفت أمين ـ مثلاً يعنى برضه ـ يؤديان نفس المشهد. .

أتصوره. . بل أسمعه يقول لها:

ـ بأقـول إيه يا حلوة. . عـاوزانى أخـرس خـالص وأقطع لسـانى من لغلوغه؟!

تهز رأسها كالمستجيرة «نعم» متلهفة على خلاصها. .

يقول وصوته يصدر كالفحيح:

ـ آخد نص أرنب!

تزغر هى له باحتقار. . تستمهله لحظات. . تعود بعدها وفى يدها المبلغ [تحـمـد ربنا فى سـرها أنه لم يطلبـه بالدولار!] تلقى بـواكى الفلوس فى

وجهه. . ينحنى فى كبرياء المجرم العتيد يلتقط الرزم من بين قدميها.

تقول متشفية.

ـ نص أرنب ع الجزمة!!

وتضيف فى قوة المتمكن تحذره:

ـ لكن أسمع. . إنت مش كل يوم حتنط لى هنا عاوز نص أرنب. . أنا مش قاعدة على بنك [تخدعه] فاهم؟!

يرد عليها الشرير وعيناه تلمعان ببريق له معنى وهو يخرج من باب الفيلا [عندها فيلا طبعاً وليست شقة فوق سطوح].

ـ ما تخافيش يا حلوة. . المرة الجاية هآخد الأرنب بحاله. .

يختفى وراء الباب مخلفا قهقهته الشيطانية تتردد فى الصالون الفسيح. .

أقول لنفسى بصوت مسموع وقد فاض بى:

ـ لأبأه. . دا الشر زمان كان طيب قوى. . على الأقل كان أرخص!!


على مائدة
إفطارى اليوم



تسألنى زوجتى:

ـ ح تفطر إيه النهاردة؟

وأقول كعادتى بحسن نية:

ـ أى حاجة..

تقول وهى تعض على صبرها بأسنانها:

ـ أى حاجة زي إيه؟

أقول غير مكترث فلا شىء يهمنى:

ـ دقية بامية مثلاً باللحم الضانى؟!!

تفتح عينيها على اتساعهما وأحس أننى ارتكبت خطأ فادحاً.

أنظر حولى وتحت قدمى فلعلى أكون قد كسرت شيئاً.. ويأتينى صوتها لاهثاً من الغضب

ـ بتقول إيه حضرتك؟

آه..

هنا الخطأ..

أدركت الآن أنه هنا مربط الفرس..

وأقول «مستعبطاً».

ـ ليه.. هو أنا لا سمح الله قلت حاجة غلط؟!

تقول وصبرها على جهلى قد بدأ يهرب منها. .

- إنت عارف كيلو البامية بقى بكام دلوقت؟!. .

لا يهمنى بكم أصبح كيلو البامية!!

أقول - لنفسى طبعا - ح يكون بكام يعنى كيلو البامية؟ إن شاء الله يكون بجنيه بحاله. . فمادامت نفسى قد اشتاقت إلى البامية [وآه من الشوق] فلاّ كل بامية وليكن ما يكون. .

أقول متحدياً بكل شجاعة الشوق داخلى.

- لأ مش عارف. .

وأضيف متمادياً فى التحدى

- ح يكون بكام يعنى؟

تقول وقد بدأت إطلاق مدافعها لدك التحدى

- بأربعة جنيه يا أستاذ!!

وأحسن أنها قد بدأت فاصلاً ساخناً وسريعاً من «التريقة». .

يدق قلبى بسرعة من هول المفاجأة التى وقعت على رأسى عن آخر أخبار بورصة البامية [ليست الطماطم وحدها هى المجنونة!] وأحاول أن إدارى خجلى من جهلى الذى وجدتنى اتخبط فيه. .

أمسح عرقى وأقول

ـ يعنى ما قالتليش. . !!

ـ هى مين أن شاء الله؟!

وأحس بزوجتى تتحفز لمعركة هذا الصباح

ـ البامية!!

تخبط الست المحترمة [زوجتى طبعاً] صدرها بيدها

ـ إنت عايز تجننى يا راجل إنت؟!

أرد مستدركاً بسرعة محاولاً تجنب شجار يطل برأسه

ـ بلاش. . بلاش. . هو ماله الفول يعنى. . «كخة»؟! نعمة من ربنا. .

وأضيف وقد قر قرارى

ـ خلاص. . اعملى فول. .

والعن فى سرى أياماً سمعنا فيها فؤاد المهندس يعدد لزوجتة صباح فى الأغنية الرمضانية المشهورة أصناف الطعام التى ينتظرها على مائدة افطاره قائلاً فى معرض توبيخه لها:

ـ عاملين لنا وزة بالخلطة

وبفتيك وصنية مكرونة

بس؟

وخضار صنفين وكباب حلة

وضلمة باللحمة المفرومة

بس؟

ولا يكتفى «حضرته» بهذه النعمة [حظوظ والله] لكنه يمعن فى تبكيتها فيطلب بكل القلب الجامد

ـ طب فين اللحمة المشوية

ـ والفتة فين والتقلية

ـ والسمك البورى اللى أنا جايبه [هو طبعاً ولست أنا]

ـ راح فين والشوربة فين هيه؟

أقارن حاله بحالى ولا أحس بالتعاسة. ويأتينى صوت زوجتى تتأكد من ربط الكلام

ـ خلاص فول؟

أقول مستسلماً كالأسير الأعزل

ـ خلاص فول..

وأهمس لنفسى مشجعاً

ـ ماله الفول؟.. دى حتى البامية اليومين دول مش قد كده.. وطعمها [وامصــمص شفتى] يعنى!! وأرسم على وجــهى ابتسامــة سعادة عــريضة قـــاااااد كده!!

صديق لابنتى





اشتعلت ثورتى . .

أحسست بالدم فى عروقى وقد تحول إلى نفط مشتعل . . بدأت الشرارة التى أشعلـت الحريق عصـر ذات يوم عندما رن جـرس التليفون فـى بيتى فرفعت السـماعة لأفاجأ بصـوت رجالى من الطبقة «العـيالى» يسألنى عن ابنتى . . كان ردى عليه تحفزاً يكاد ينفجر . .

سألته من هو؟

من يكون ذلك الذى يجترىء ليكلم ابنتى فى منزلها؟

قلت وقد احتشدت خلف كل كلمة

ـ تبقى مين انت وعاوزها فى إيه؟!

أذكر مـيلاد الشرارة . . تلك اللحظـة السريعة التى لمعت فـيها لتـمسك النار بأعصابى عندما قال بكل البساطة والبرود:

ـ أنا صاحبها يا أونكل!!

أنا؟! . . أونكل؟!

قالها . . وانفجر شىء داخلى . .

رددت عليه من بين أسنانى:

ـ هى مش موجودة . .

ووضعت [الحق أننى رزعت] السماعة . .

قـفزت هاربة من رأسى كـل الأفكار العاقلة ولـم تبق فيـه إلا الأفكار

أحسست زلزالاً يكـاد يعصف ببيتى . . وراحت الوان الأشـياء كلها من حولى تتحول إلى السواد . .

والغريب أننى لست رجعـياً متزمتاً . . وأذكر أننى فى منـاقشاتى العديدة مع زملاء العمل وأصـدقاء الأسرة وسهرات المقـهى لم أعارض يوماً فكرة اختلاط الشباب . . بل إننى اعتبر نفسى من أشد المتحمسين لها باعتبار أنها تساعد فى خلق منـاخ صحى وطبيعى بين الجنسين يساعـد فى النهاية على تقدم المجتمع فى وقت نحتاج فيه إلى كل يد وكل عقل . .

أكثر من هذا فأنا اعـتبر نفسى رجلاً مجرباً وأحشـر نفسى فى مناسبات عديدة بين المثقفين ولا افتأ أذكر طرفـاً من أخبار رحلتى الأوربية افتعل لها المناسبات لأحكى واستفـيض عن تقدمهم فى «بلاد بره» وتأخرنا فى «بلاد جوه» . . لكننى . . واليوم فقط اكتـشف أننى لم اتخلص بعد من شرقيتى ولا أظننى سأستطيع . . فالكلام فيما يبدو عن حرية البنت شىء . . أما أن تنصب حرية البنت خيـام سيركها داخل بيتى فأمـر لا أظن أننى سأقبله . . ولا أظنك أيضاً تقبله . .

صـرت فجـأة أسداً هصـوراً وليثـاً يتجـول فى غابة . . أزأر : عـاو . . عاو . . فيتـراجعون أمامى . . بحثت عن تلك التى يسـمونها ابنتى لأطحن عظامها فلم أجـدها . . واختفت زوجتى خلف الأشجـار . . أقصد داخل غرف البـيت انتظاراً لأن اهدأ . وبالفعل . . زال انفعـالى بعد قليل وهدأت ثورتى فـأنا ـ نسيت أن أقـول لكم ـ رجل طيب على كل حـال . . ناديت

بصوتى الهادىء الرزين بعد أن انقشعت سحب غضبى السوداء.. جلست زوجتى أمامى.. وعادت ابنتى من الخارج لتنضم إلى مجلسنا.

قلت وقد أخفيت تزمتى بكل حرص أننى لا أمانع فى أن يكون لابنتى صديق بشرط أن أعلم.

جاءنى رد ابنتى دشاً بارداً لم اتوقعه..

ـ وما الفرق يا حبيبى بين أن تعلم أو لا تعلم مادمت توافق على المبدأ.. اليس هذا كلامك؟!..

تنحنحت..

ظللت أشير بيدى فى كل الاتجاهات دون أن يخرج منى صوت مفهوم.

أخيراً جاء الفرج..

قلت:

ـ ولماذا لا أعلم.. ألست فرداً مثلكم فى هذه الأسرة؟! انتقلت ابنتى من مقعدها لتجلس على طرف مقعدى.. وأحاطت رقبتى بذراعها فى رقة ومالت تقبلنى لتنهار آخر حصون مقاومتى.

ـ أنت يا أبى تفكر بطريقة.. وتعيش بطريقة مختلفة تماماً.. أنت تفكر بطريقتنا وتعيش حياة جدودك وهذا شىء داخلك لم تتخلص منه بعد.. ولو اخترت لن أتزوج رجلاً مثلك.. أتدرى لم؟!

لأننى أريد زوجى قطعة واحدة فكراً وسلوكاً لا قطعتين مثلك!!

كلامها ينطلق فى وجهى كالرصاص الطائر . .

لم أكن اتصــور يوماً أن أجلس أمــام ابنتى أتلقى على يديهــا كالتلمــيذ الخائب درساً فـيما هو كائن وما ينبغـى أن يكون فنحن من جيل تعود أن يسمع لآبائه وأن يحترم ما يقولون مهما كان هذا الذى يقولون فهو لا يقبل المناقشة . . أدرت كلام أبنتى فى رأسى أكثر من مرة .

وأعترف أننى وجدته معقولاً . .

لكن بقى هناك شىء أردت أن أريح منه ضميرى المبهظ

قلت لها بعد أن لملمت حولى هيبتى التى تبعثرت هنا وهناك .

ـ اسمـعى يا ابنتى . . أنا لا أريد أكثر من الاطمـئنان عليك . . هل هو إنسان تثقين فيه . . أقصد . . ألا أخاف عليك منه؟

جمعت شجاعتى لأسأل سؤالى الأخير

ـ ألم يطلب منك تحديد موعد لمقابلتى؟ قامت من جوارى قائلة قبل أن تغيب داخل غرفتها :

ـ لم يطلب . . وأظن أن كـرامـتى لا تســمح لى أن أطلب منه شـيئـاً كهذا . .

أضافت بعد فترة وقد عادت ابتسامتها تفرش نورها على وجهها .

ـ أما عن أول سؤالك فاطمئن . . نعم أنا أرتاح إليه . فلا تقلق!

وأسـرعت تختـفى داخل غرفـتهـا مـخلفة وراءها آلافـاً من علامـات الاستفهــام والتعجب تخرج لى السنتها وتتقــافز من حولى ولا أقوى على كشها بعيداً . .


إى . تى !



سألنى أبنى وقد أضاء كل مصابيح دهشته:

ـ صحيح يا بابا حضرتك لا تعرف إى. تى؟

أخذت أقلب الكلمة فى ذاكرتى وعرق الخجل يغمر وجهى.

قلت فى نفسى لعله اسم أحد محلات الملابس المشهورة. كلا.. بل لعله اسم عطر رجالي، بل حريمى جديد من فيض ذلك الانتاج المنهمر الذى تبهرنا به مصانع العطور العالمية، استبعدت الفكرة. فما معنى الكلمة فى عطر الرجال أو النساء. وقفت متردداً أمام أبنى الذى ينتظر منى الاجابة. اخرجت منديلى أجفف عرقى متعللاً بالحر رغم وجود المكيف..

قلت متظاهراً بعدم الاكتراث:

ـ لا أذكر الآن وأن كنت أظن أنه انتاج جديد من السجائر.. نعم هو اسم سيجارة جديدة!

نظرت فى عينيه أرى وقع الاجابة ثم أسرعت أنفى اجابتى.

ـ بل هو طراز جديد من السيارات لكننى لا أذكر اسم الشركة.

راح الولد يخبط ركبتيه بكفيه وقد غلبه الضحك.

كان المشهد مثيراً للضحك حقاً فضحكت متردداً فى البداية منتظراً المفاجأة التى يحملها لى لأنفجر مثله ضاحكاً.

كنت قد اعددت نفسى لمثل هذه المفاجآت مخافة أن اتهم بجمود الفكر

وسط عالم سـريع التغير، لكن ذلك العـفريت الصغيـر تمادى فى ضحكه وراح يجرى فى انحاء المنزل ينادى أمه صارخاً يعلن انتصاره:

ـ الحقى يا ماما.. بابا لا يعـرف إى. تى!!.. هل تصدقين؟ أحسست بوجهى محتقنا وقد سـرح الغضب فى كل جسمى كالوباء. قلت فى نفسى أنه لا بد من عقاب هذا النمرود جزاء سـخريته منى.. تساءلت بعد برهة: هل شرط أن يعرف الآباء اليوم كل مـفردات قاموس ابنائهم؟.. ألا يكفى أننا نعرف مفـردات قاموس حياتنا نحن؟ ومـع ذلك فما هو هذا الـ إى. تى الذى ملأ شدقى هذا الشيطان ضحكاً وسخرية وملأنى أنا هماً ونكداً؟

أغلقت على نفـسى حجـرة المكتب فى تلك الليلة والليلة التى بعـدها أراجع صـحف الأسبـوع بكاملها. سـمحت أيـضاً لنفـسى بمتابعـة برامج التليفـزيون.. سرت فى الشوارع اطالع افـيشات الإعلانات حـتى وقفت يوماً وسط سيل السـيارات فى الشارع كالمشدوه وقد اكـتشفت السر: إذن فهذا هو إى. تى الذى يقـصده ولدى؟! هززت رأسى مبتسمـاً من شقاوة ذلك الشيطان الصـغير الذى أستطاع إثارة اهتمـامى وقررت أن أدبر له فى المقابل مفاجـأة احاصره بها فى المساء لأرى اتساع عينـيه من الدهشة عندما يكتشف إننى أعرف عن إى. تى هذا أكثر مما كان يتصور خياله الطفل.

أمضيت ساعات العرض اتابع دقائقـه حريصاً على ألا يفوتنى منه ما قد يعرضنى لسؤال جديد يهدد مفاجأتى التى أعدها لولدى بالفشل.

فى المسـاء وقـبل ذهابه للنـــوم قـلت وقـد قـصـــدت أن تـسـمع

زوجتى كل كلمة.

ـ أسمع أنا نازل إلى حديقة المنزل.

اتسعت عينا زوجتي من الدهشة والتفت ولدى مستطلعاً الخبر.

ها قد نجحت خطتى لاثارة اهتمامه، غـمزت بعينى لزوجتى ملمحاً إلى أنها ستفهم بعد قليل. قلت موجهاً الكلام إلى الصغير:

ـ ألن تأتى معى.. سنحفر فى الحديقة قليلاً؟

اعجبته غرابة العرض فأسرع يقـفز لاحضار الجاروف ورحنا معاً نتسابق هابطين درجات السلم واحسـاسى بنجاح خطتى يملأنى بالسعادة. سـأنفجر ضاحكاً من مـنظره عندما يكتشـف مفاجـأتى أمام أمه التى راحت تـتابعنا بنظرها من النافذة تكاد تسلم بأن ما نفعله هو الجنون بعينه.

شمرت أكمام قـميصى ورحت احفر بينما وقف الصغـير يتابعنى بعينين تقاومان النوم وقد اضاء فيهما تساؤل عن معنى ما أفعل. سريعاً راح العرق يتفـصد من كل جـسمى واحـسست بالتعب يـتملكنى. رفعـت رأسى إليه معـاتباً أسـأله لماذا لم يسألنى حـتى الآن عن السبب الذى من أجله احـفر أرض الحديقة. قال الخبيث ضاحكاً وقد هزته نشوة السعادة:

ـ كنت سأسألك حالاً..

قلت منتصراً وقد استرددت بعض عافيتى:

ـ احفر من أجل البحث عن تابوت إى. تى لعلنا نستطيع أن نعيده إلى أهله.

اكتست ملامحه فجأة بخيبة الأمل وطار عنها الاهتمام الشغوف بما أفعل. كان الاحباط ملء عينيه فوقفت أمامه حائراً. تأملنى لحظة يكاد لا يصدق ما يحدث. ثم رفع وجهه نحو أمه التى كانت تطل من النافذة لا تزال وهتف بأعلى صوته:

ـ بابا يبحث عن إى. تى فى الحديقة يا ماما.. تصورى؟! يظن أنه مدفون هنا!!.

أضاءت بعض نوافذ الجيران فتكاثر عرقى. استدار نحوى قائلاً بصوت اكتشفت فيه رنة الحكمة:

ـ لا تصدق أفلام السينما يا أبى أنها مجرد خيال.. طبعاً أنت تعرف هذا أم أنك خيالى لهذه الدرجة؟

طوحت بالجاروف بعيداً ورأسى يكاد ينفجر من الغيظ، فانطلق هو يعدو مبتعداً عنى وضحكاته ترن من حولى. وضعت ذراعى فى خاصرتى غير عابىء بالوحل الذى لوث كل ذراعى وقميصى، زفرت محنقاً من هذا الجيل الذى لم أعد افهمه. تطلعت إلى زوجتى، غاظتنى أكثر ابتسامتها التى راحت تتسع بلا سبب مفهوم. سمعت ضحكات طفلى تجلجل خلفها ويصلنى صداها. ضحكت زوجتى وهى تشير إلى هيئتى. لانت ملامحى فضحكت، أطل الصغير متسحباً من خلفها يكتم ضحكته. انفجرت اضحك بملء شدقى غير عابىء بالنوافذ التى راحت تتفتح فى عتمة الليل تسأل عما يحدث!

تليفون فى الفجر



لا ينقطع رنين التليفون فى بيتى نهـاراً. . وهذا مفهوم. . ويشاغلنا فى المساء أحيـاناً. . وهذا أيضاً ممكن. . لكنه قد يهوى فـوق رأسى فى الفجر ممزقـاً السكون فأقـفـز فى فراشى كـالملدوغ. أبحث حـولى عن زر النور فتصطدم كفى العمـياء المفرودة فى الظلام بعلب الأدوية وتسقط الأباجورة وصورة ابنتى وأسمع وسط «الكركبة» أنين زوجتى المكتوم إلى جوارى.

ـ بس بقى!!

ويصرخ طفلنا الصغير المحشور بيننا

ـ مش عارف أنام!!

أخيراً وبعد جهد أفلح فى إعادة الأباجورة إلى مكانها وأضغط زر النور وأرفع السماعة إلى أذنى.

ويأتينى الصـوت المنتظر نافد الصـبر على الطرف الآخـر يسأل فى أدب تلك اللحظات من الليل.

ـ أنا اسفة ياأونكل. . كرمة موجودة؟!

نسيت أن أقـول أن كرمة هو اسم ابنتـى التى تدرس الأدب الانجليزى فى الجامعة وتهوى أدب العصر الاليزابيثى على وجه الخصوص.

أقول وكل جسمى مازال ينتفض بالبرد والتوتر

ـ بس دى نايمة!!

يقول الصوت المفرط فى الأدب متوسلاً

ـ معلهش يا أونكل أنا عايزاها ضرورى.. ممكن تصحيها لى من فضلك!

وأضع السماعة جانباً لأنادى ابنتى فلا أجد للنداء حاجة إذ أفاجأ بها أمامى وقد أحكمت حولها الروب دى شامبر وهى تسألنى:

ـ مين؟.. غادة؟

وأقول:

ـ لم أسألها.. يمكن، فتسرع تخطف منى السماعة وهى تفسح لنفسها مكاناً تجلس فيه إلى جوارى فوق الفراش لنصبح أربعة.. تزحزحت إلى اليسار قليلا فأنت زوجتى مستنكرة

ـ وبعدين؟!

وضعت ابنتى كفها على السماعة تمنع صوتنا من الوصول إلى صاحبتها.. قائلة لنفهم:

ـ أصل فيه فصل من شكسبير بنراجعه سوا.. وتواصل:

ـ أيوه يا غادة.. كنا بتقول إيه؟!

ثم تبدآن معا مراجعة أحد فصول تاجر البندقية الذى كنت أعرفه فيما مضى من شبابى لئيما غادراً.. وأقول لنفسى..

ـ يستاهل..

نهضت ابنتى تحضر بعض كتبها ثم عادت..

كانت زوجتى قد استيقظت تماماً وجلست فى الفراش تفرك عينين محمرتين تشتاقان إلى النوم فى حين تقلب الصغير متضجراً.

ـ ح أروح المدرسة الصبح إزاى؟!

اعتدل فى فراشه وقال وعيناه تضرعان متوسلتين إلى شقيقته:

ـ عاوز أنام يا ناس!!

لكنه على الفور يتلقى جزاء على جرأته نظرة اكاديمية أعرفها راح بعدها يخبط بقبضته الصغيرة فوق الوسائد يائساً ثم انزلق بسرعة يغطى وجهه كأنما الأمر كله لا يعنيه..

لم أعد أجد مبرراً لمواصلة النوم بعد أن حلق طائره بعيداً بعي

أدنى شبهة فى الرجوع..

القيت نظرة سريعة إلى الساعة فوق الكومودينو قلت بعدها هامساً لزوجتى مبتسماً لابنتى معتذراً رداً على نظرتها الاكاديمية التى أعرفها تمام المعرفة.

ـ خلاص بقى.. قومى اعملى لنا الشاى وحضرى الفطور..

أزاحت المرأة الصابرة عنها الغطاء فى صمت ومضت إلى المطبح تجهز افطار يوم جديد.. فى حين مضت الصغيرتان تثرثران حول بورشيا وباسانيو وشايلوك بينما تكتكة الساعة تدق داخل رأسى وصوت الماء المغلى يبقبق فوق النار واصطفاق الاكواب على الصينية يشكل مع باقى

الأصوات المتداخلة سيــمفونية الحياة التى ايقظهــا فى بيتنا ذلك الانجليزى شكسبير . .

قلت لنفسى معتذراً لابنتى بابتسامة صامتة . . لم افتح معها فمى بكلمة . . هذا الانجليزى ابن القرن الســادس عشر يغط منذ ثلاثمائة عام مستــمتعاً بنومة ابدية فى قبره مستريحاً بينما أعانى أنا هنا من تاجر بندقيته وتليفونات الفجر وغــضب الصغير المكتوم تحت الغطــاء لا يتوقف عن ركلى وتذكرت قول شاعرنا الفحل وأنا أحسده

أنام ملء جـفونى عن شــواردها ويســهر الخلق جــراها ويختــصم

ابتسمت مستسلماً وصوت ابنتى لا يكفى عن الانسكاب فى أذنى . .

يائساً حــملقت للمرة الأخــيرة فى ســقف الغرفة افــتش عن طائر النوم معللاً نفــسى باحتمالات عودته ليــستكين فى عشه الذى صنــعته له داخل عيونى . . ولكن ـ قلت لنفسى ـ لعله راح ينام فى مكان آخر أكثر هدوءاً!!

أنا لست الآخرين !





خلقت أحب الطبيعة، يستهوينى الصبح الطالع عندما تطل الشمس برأسها فى خجل متردد قبل أن تغمر الدنيا بالدفء والنور.. وأحب مشاهد الخضرة تفرش الأرض وتسعى لتلتقى مع خط الأفق فيغيب الأخضر مع أحمر الغروب القانى فى عناق كالتسبيح، ويطربنى شدو عصافير الأشجار البعيدة التقت عشوشها وصغارها واجتمع من جديد شمل أسرتها بعد قرابة يوم من الكد خلف ارزاقها..

لكننى رغم هذا، بل مع هذا، لست اظن نفسى عاطفياً بالدرجة التى تبلغ حد الضعف الهش.

هكذا اعتقد فلست اظن نفسى إنساناً بلا مشاعر فى زمن التهبت فيه اعصاب الناس فأصبحوا كالأوتار المشدودة تهتز على ايقاع عصر مجنون لا يتوقف عن الحركة.

لماذا أقول ما أقول؟

أقوله عندما أجلس وحدى فى هدأة الليل معتمداً بذقنى على قبضة يدى كما كان يجلس أمير الشعراء أحمد شوقى يرحمه الله. ولعله كان يفكر فيما أفكر فيه، يعلم الله!

وحدى فى سكون الليل أسرح أقارن بين حالى هذا وحال زوجتى.. وأسأل نفسى: هل جرفتنى مادية العصر فأصبحت إنساناً آلة لا أحمل بين ضلوعى قلباً يدق لضعف الناس أو روحاً تهفو وتشعر بالوحشة والحنين والشوق لماض أو ذكرى أو طيف صديق؟

أسأل نفسى والحيرة تزلزل كل كيانى فأجدنى على العكس إنساناً كما وصفت أشعر مثلما يشعر الناس واحس بما يحسون فاستغرب حال زوجتى واخبط كفا بكف وابتسم مندهشاً.

اتذكر يوم أن التقيتها محمرة العينين مقرحة الجفنين، وبلغ بى الفزع مبلغاً إطار صوابى وتصورت أن قريباً عزيزاً لها أو لى فارق دنيانا ولا أدرى لماذا تصورته شاباً فى مقتبل العمر لتكتمل المأساة. تلقيتها بين ذراعى وسرت بها نحو أقرب مقعد وسألتها وقلبى يكاد يقفز خارجاً من صدرى عن سبب بكائها.. حلقى جاف وكل جسمى يهتز. ناولتنى جريدة الصباح وأشارت إلى خبر فيها.. ما زلت لا أفهم، تناولت منها الجريدة وقرأت عن سقوط طائرة بركابها فى البحر. أدركت الآن سر بكائها فهى امرأة عاطفية نسيت أن أقول لكم.. وإلى درجة بعيدة جداً.. قالت بين شهقاتها: تصوركم طفلاً.. كم أماً.. كم أبا وأخا مزقهم الحزن والألم.. كم بنتا عاشت أياماً سوداء.. وانخرطت فى بكائها من جديد قلت مهوناً: يرحمهم الله.. ومالنا نحن؟

نظرت إلى فى توحش: مالنا نحن كيف؟

قلت متراجعا على الفور: فعلاً. كيف؟ يجب أن نحسن بألم الآخرين.. هكذا واخرجت منديلى أمسح دموعى التى ترفض الخروج.

أسأل نفسى لا أزال: ألا تكون المصيبة مصيبة إلا إذا ضربتنا بسهامها؟ أيكفى أن أحزن لنفسى وأفرح لنفسى فقط أم يجب ولو من باب الإنسانية

وجبر الخواطر أن أحزن وأفرح لآلام كل البشر؟ أكاد أجن. أقول لنفسى: وهل أنا مسئول عن العالم كله؟ أنا أعيش داخل دائرتى، وكل يعيش مثلى داخل دائرته.. قد تضيق الدائرة أو تتسع بحسب حجم علاقاتنا وأسرنا.. من المؤكد أيضاً أن دوائر علاقاتنا واهتماماتنا تتداخل فى دوائر وعلاقات واهتمامات الآخرين ومن هنا تنشأ المجتمعات بعلاقاتها المتشابكة المعقدة لكن هذا كله لا يعنى بالضرورة إننى يجب أن أبكى لضحايا طائرة سقطت أو لحبيب هجر حبيبته أو عاشق أمضى الليل ساهراً يناجى طيفاً لا يريد أن يزوره.. مالى أنا؟!

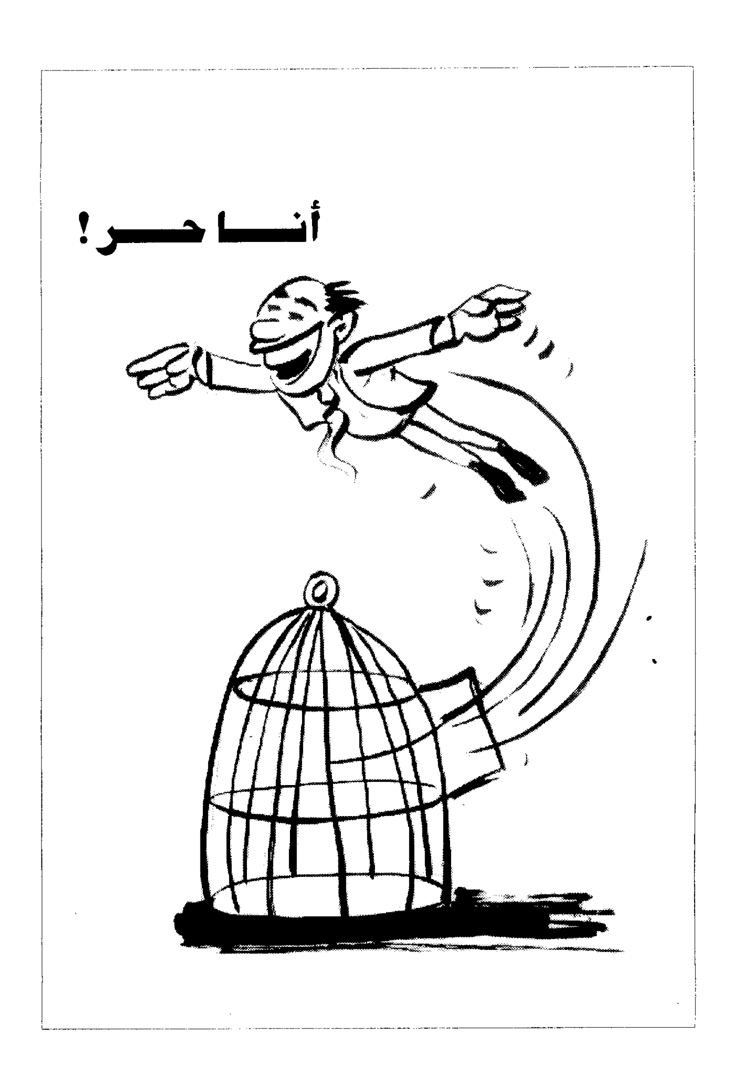
تقول زوجتى فى لحظات صفائها وأحس بها تضغط لتضعنى داخل علبة رومانسيتها القطيفة: خلص نفسك من دولاب المادية الذى يدور بك ويكاد ينسيك حتى نفسك.

لا أرد عليها بالطبع.

أقول بينى وبين نفسى «أنا أدور داخل دائرتى التى تتداخل وتتشابك مع دوائر الآخرين».

التفت إليها وصوتى يرتفع: لكننى لست الآخرين.. فهمت؟!




أنـــا حـــر!



دار مفتاح الحرية فى باب سجنى وحملتنى موجة ناعمة تعدنى باقتراب شاطىء الانطلاق حيث اتخلص من قيودى فأغمضت عينى استمتع بنشوة اللحظة بكل طولها وعرضها وعمقها.

هزتنى رعشــة من سعادة طفـولية لا تخلو من خـبث وشقاوة كـتمتـها داخلى فى انتظار تلك اللحـظة التى اهتف فيـها بملء صـدرى وقلبى «أنا حر».

قالت زوجتى وهى تتأهب للدخول فى السيارة:

ـ لن اتغيب أكثر من أسبوع واحد عند ماما اطمئن عليها وأعود.

قلت متظاهراً بالتأثر:

ـ أسبوع واحد فقط حرام.

استغربت الكلمة. نظرت فى عينى بقوة مستفسرة. هتفت موضحاً على الفور:

ـ حرام يعنى أن تتركيها فى هذه الحالة!

استأنفت قائلاً باهتمام قصدت أن يبدو طبيعيا لا أثر للمبالغة فيه:

ـ تعلمين أنه لولا ظروف الـعمل لكنت الأن مـعك. بلغـيـها دعـواتى بالشفاء.

أغلقت خلفها باب الـسيارة ووقفت الوح لها بينمـا أنا ادعى التماسك حتى لا تفر من عينى دمعة تشى بحزنى الكاذب لفراق زوجتى.

لوحت لى بيدها من خلف الزجاج بينما كانت السيارة تستدير لتستقبل بداية الطريق. وقفت رافعاً ذراعى فى الهواء كغريق يشير لسفينة تجتاز الأفق حتى غابت السيارة عن ناظرى فأستدرت اقفز درجات السلم إلى شقتى وقد سيطر على احساس بأننى طائر وجد باب القفص مفتوحاً أمامه فجأة فلم يصدق عينيه. فى البداية أطل من باب سجنه يتلمس الحقيقة بنفسه. نظر يميناً وشمالاً حتى اطمأن إلى انفتاح الجو أمامه فأطلق جناحيه يسبحان فى الفضاء ومضى يحلق عالياً حتى غاب القفص عن بصره كأنه لم يكن منذ لحظات يخضع لقانونه الصارم عليه فلا يملك إلا الخضوع له.

أغلقت خلفى باب شقتى ووقفت أسند ظهرى إليه لحظات. أغمضت عينى كمن لا يصدق نفسه، تنهدت فى ارتياح، قلت لنفسى فلأبدأ من الآن فى ممارسة حقى فى حياة الفوضى واللامسئولية.. ولتحيا الحرية.

قررت ألا أضيع لحظة واحدة أخرج فيها على كل قوانين وقيود الزوجية. هأنذا وحدى بلا أى تعليمات أو توجيهات لا أحد هنا غيرى يصدر الأوامر وينفذها أو يتمرد عليها، قررت مثلاً أن أضىء أنوار الشقة كلها ثم قررت أن اطفئها كلها أيضاً ولم لا؟ الست حراً أفعل ما أريد فلا يعارضنى أحد؟

وأدرت جهاز الراديو ورفعت صوته إلى أقصى درجة. درت مع انغام الموسيقى أرقص وحدى فى الشقة.. فى إحدى يدى علبة العصير وفى الأخرى طبق فيه قطع من جاتوه الشيكولاته التى أحبها وتحرمنى منها زوجتى تنفيذ لأوامر الطبيب الذى ابغضه وأبغض قيوده السخيفة التى يجد

متعته فى أن يرانى مكبلاً بها ويتصور أن فـيها سعادتى وراحة جسمى. ما يدريه هو أين أجد سعادتى وأى شىء يريح جسمى؟! إلا يعلم أن سعادتى أنا وحدى الذى اعرف أين أجدها، وأنا أيضاً الذى اريح جسمى أو اشقيه بعيداً عن طبه وروشتاته وكلمات الحكمة التى يوزعها على رعاياه مصحوبة بابتسامة يلصقها على وجهه كلما وقع بين يديه مريض جديد.

على الفراش اسـتلقيت بكامل مـلابسى وحذائى وقد تـلوثت اصابعى بآثار الشـيكولاته وتركت بـصمـاتهـا على الملاءات البـيـضـاء فلم أهتم. ووجدتنى أغرق فى نـوبة من الضحك الحبيس انطلق فـجأة وتوقف أيضاً فجـأة. تذكرت اصدقـاء الشباب والمرح فـقفزت إلى التليـفون اشاكـسهم واسخر من حبسهم واتخيلهم يتطلعـون إلى من وراء قضبان بيوتهم بعيون يملأها الحسـد بينما ادور أنا أرقص فى حـرية معانقـاً الخلاء الفسـيح وقد أحسست بنفسى خفيفاً اكاد أطير.

في المساء كـان قد حل بى التعب فجلـست معتمـداً بذقنى على راحتى اسأل نفسى. وماذا بعد؟

كانت فـورة أحساس الصبح قـد أخذت فى الاختفـاء مع دخول الليل ليحل مـحلها احساس بالوحـدة ووهم بأن شقتى تزداد اتساعـاً من حولى فجلست على حافة الفراش أعانق غربتى بعد أن حلق طائر النوم بعيداً ولم يعد.

ظللت حتى فتـرة متأخرة من الليل ساهراً حتى تنبـهت فى الصباح إلى

إننى تركت أنوار الشقة كلها مضاءة فقمت متكاسلاً اطفئها وشعور الغربة داخلى يزداد الحاحاً وعنفاً، لكننى كنت قد قررت الاستمرار فى المقاومة قاطعاً على نفسى عهداً بألا أرفع راية الاستسلام البيضاء أمام هذا الضعف الذى يناوشنى بين وقت وآخر فخرجت إلى الشارع احاول الهروب من نفسى بالتطلع إلى فاترينات المحلات لعلى أنسى زوجتى. . زوجتى؟ رددت الكلمة داخلى أكثر من مرة فاكتشفت لها طعماً جديداً.

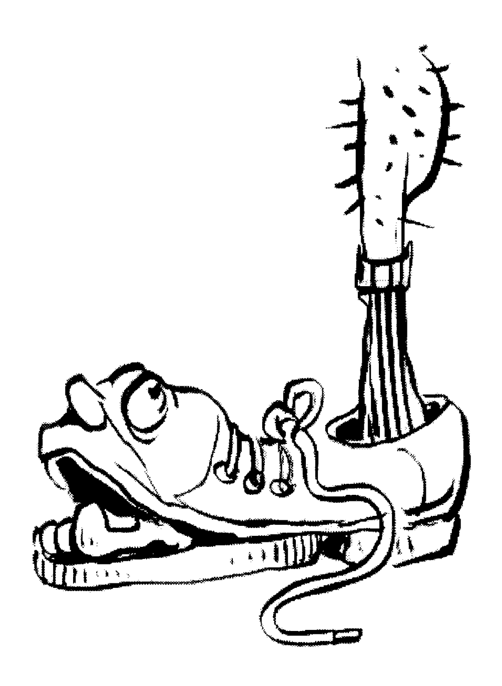
سرحت وقد بدأ ايقاع حنينى لزوجتى يعلو داخل صدرى، أدرت عينى حولى أفكر فيها فرأيتها. نعم. . كانت تستعد لاستقبالى لدى عودتى من العمل وسمعت صوتها ينادينى بينما أنا ابدل ملابسى. تذكرت فنجان الشاى فى المساء ونحن نتسامر أمام التليفزيون تحكى لى حكايات الأهل والجيران والأصدقاء وصوتها العذب ينساب داخل روحى. سمعتها تدندن إلى جوارى لحنا احبه بينما أنا منهمك أقلب صفحات الجرائد والمجلات فأحسست خيطاً من المرارة ينسكب داخلى ويكاد يخنقنى وأوشكت على البكاء. فى دقائق كنت فى الشارع على سنجة عشرة.

مسرعاً أشرت إلى إحدى سيارات الأجرة. القيت نفسى داخلها وأنا أقول للسائق بلهفة:

- بسرعة خذنى إلى السجان !

استدار السائق نحوى مفزوعاً حتى كادت عجلة القيادة تختل فى يده لكننى كنت قد اشحت بوجهى بعيداً عنه وكل ملامحى تنطق بالسعادة.

احذيتى القديمة





قالت زوجتى نافدة الصبر: لماذا لا توفر على نفسك مشاوير الاسكافى وتشترى حذاء جديداً؟

نظرت إليها متسائلاً..

قالت تحسم الموضوع وأصبعها تشير إلى احذيتى القديمة: تخلص حالاً من هذه «الكراكيب».

كطلقة الرصاص «اندبت» الكلمة فى قلبى.

هززت رأسى كالحكماء حين تنكشف أمامهم مغاليق الحقيقة. «مسكينة» لا تفهم عمق الروابط العاطفية بينى وبين ما تسميه هى بكل قسوة «كراكيب»!!..

نظرت إلى احذيتى القديمة فى ود وكادت الدموع تطفر من عينى.

إنسان عاطفى أنا.. اعترف. لكننى لست ضعيفاً.

قلت بينى وبين نفسى: هذا الكون مفعم بالجمال.. والاحذية القديمة ولا شك جزء من هذا الكون الجميل. فهى إذن جميلة وسر جمالها يكمن فى عراقتها. هى بكل تأكيد احذية اصيلة تحملت كل صعلكاتى فى الشوارع. داست معى ارصفة وشوارع وحوارى البلد. دخلت الازقة وخاضت فى اوحالها ولم تعترض، اسرعت بى أو اسرعت أنا بها. نتفادى سيارة طائشة يضحك سائقها السمين لهيئتى المذعورة، ركضت بها

خلف اوتوبيس قصير النظر لا يميز بدقة علامات المحطات، زحفت بها مكدوداً تحت شمس الصيف، اصعد درجات أحد الكبارى أعبر فوق زحمة الميادين.

هى أيضاً ـ احذيتى القديمة وليست زوجتى بالطبع ـ مظلومة معى. لم تدخل معى يوماً داراً لـلسينما المكيفة من الدرجة الأولى، ولم يذق نعلها طعم سجاد المسارح الفخمة ولم تطأ بعد ابسطة الأوتيلات الكبيرة من ماركة النجوم الخمسة أو الأربعة أو حتى الوحيدة النجمة ولا أظنها يوماً ستعرف الفرق بينها.

كما أنها للآن لم تتشرف بدخول عالم الأضواء فى ملهى ليلى تدق «على الواحدة» مع ايقاع جسد راقص بل ولم اجرؤ يوماً على رفعها فى خيلاء أمام الناس اهزها فى وجوههم.

وابادر فأقول إننى لست متواضعاً لهذه الدرجة ولكننى خجول إلى ابعد الحدود ذلك أننى اخشى أن يكتشفوا ذلك الثقب الأزلى فى نعلها، والذى اكتشفت أنا ذات يوم بعيد أنه سبب ما يتسلل إلى عظامى من برودة الاسفلت كل شتاء، هى على كل حال برودة محببة وأن كنت أكره فى المقابل نار الاسفلت فى الصيف.

يدغدغنى ملمس الاسفلت البارد فى الشتاء فابتسم واتحداك أن عرفت سر ابتسامتى [قلته لك الان فلا تتخابث]. تظننى سعيداً إذا طالعت

وجهى، أنا بالفعل إنسان سعيد، يسعدنى أكثر أننى وحدى الذى أعرف سر سعادتى الذى تجهله [أقصد كنت تجهله] أنت ويجهله باقى الناس واعتبر هذا امتيازاً يخصنى وحدى. والان تريد زوجتى بكل بساطة هكذا أن أكون ناكراً للجميل جاحداً اتخلى بلا أدنى شفقة أو وازع من ضمير عن أصدقائى [هل قلت أصدقائى؟] نعم اظننى قلت وأرجو أن تسامحونى فهم بالفعل أصدقائى. بل والأوفياء أيضاً. .

واحكموا بينى وبين زوجتى ارجوكم دونما تحيز لى أولها بعد أن أفرغ من كلمتى هذه.

ماذا كنت أقول؟ آه نعم تذكرت. . هم بالفعل أصدقائى. وهل أوفى من حذائى أعامله بكل هذه القسوة فلا يشكو، هل لأنه مخلوق ضعيف؟ لا أظن فهو عندى كائن قوى تكمن قوته فى صمته وانظر إليه حين اقذف به فى المساء على طول ذراعى فتسقط فردة هنا. . والثانية؟ أظنها هناك فى ركن الغرفة. قد تجدها مقلوبة على جنبها فتظل كذلك حتى اكتشفها فى الصباح فأعدلها، وقد اكافئها ببعض الورنيش فيستعيد وجهها العجوز المتغضن بعض نضارة صباه الذاهب نتيجة لرعونتى وسوء تصرفى. ثم بعد كل هذا لا يتخلى عنى فى شدتى وإن تخليت أنا عنه فى رخائى. . ألستم تتفقون معى بعد كل هذا إن صارحتكم ـ بينى وبينكم ـ على أنه عندى قد يفضل زوجة ثرثارة تقلب بضجيجها العش الهادىء مارستانا ؟

«طز» فى جمالهـا إن كانت جميلة . . اليس للحذاء أيضـاً جماله . ؟ ثم تعـالوا بنا نناقش المعنى المجرد للجـمال . هل هو بـعض صفات مـادية أو مقاييس تلحق بالـ . . نعم . . حاضر . آسف فهـذا فعلاً ليس مجاله ولنعد إلى موضوعنا . .

أقول لزوجتي ومازال الأمل يحلق أمام ناظرى طائراً يمكن اقتناصه :

ـ ما أســهل مـا تقولين . . اشـترى لنفـسى حذاء جـديداً واتخلى بكل البساطة عن «عشـرة» سنوات طويلة عشتها مع احذيتى وعاشـتها معى . . ألم اخـبرك حتى الأن لمـاذا أنا أفضل الذهاب بهـا للاسكافى ولا اتخلص منها . لكل شىء سبب وسأقول لك السبب .

ردت وسـحب الغيـظ تتجـمع عند افق عـينيـها منـذرة بقرب هبـوب العاصفة ، وهى شواهد علمتها لى تجاربى السابقة معها :

ـ نعم قل اسبابك .

اعتدلت قائلاً لها :

ـ هذه بعض تقـاليد العائلات الكبـيرة ورثتـها عن والدى يرحـمه الله وورثها هو عن والده . حاولت أن أكون مؤثراً فـرفعت طبقة صوتى درجة فيما يشـبه ـ أقول يشبه ـ الصراخ ـ ثم تجـيئين أنت اليوم تطلبين منى هدم تقليد توارثته الاجيال؟

أضفت وقد عاد صوتى لطبقته العادية التى أتكلم بها عادة:

- ألا تعلمين أن الأسـر العـريقـة [اتنحنح] تشـبه فى تقـاليـدها الأمم العريقة، لا فرق، فسر عظمـة هذه وتلك تكمن فى حفاظها على تقاليدها ولو تأملت المثل الانجليزى الذى يقـول «إن متعة العيش هى مـتعة العطاء» تجدين أنه ليس عدلاً ابداً أن آخذ من حذائى شبابه ثم لا اعطيه فى المقابل بعض الاهتمام والرعاية.

قالت وهى تضغط على كل حرف:

- اسمع يا راجل إنت. .!!

لكننى بالطبع لم اسـمع، ولأننى اعلم مقدمـاً ما تسفـر عنه دائماً هذه المناقشـات الهادئة فـقد اسـرعت أحمل احذيـتى وانفلت بها خـارجاً إلى الشارع قبل أن يصيبنى شئ مما يطير عادة بعد «إسمع» هذه!!




الرجال لا يعرفون
الـ « آه » !



رجعى أنا؟

ومــاذا يهم إذا لم يتــجاوز الاتهــام حدود الــكلام. فلا هو خــرج إلى اليــقين المطلق برجعــيتى، ولا أنــا دخلت خلف القفص الحــديدى مقــراً بذنبى.

تتهمنى زوجتى بالرجعية، وعندها أسبابها بالتأكيد. فهى سيدة لا تطلق الأحكام على عواهنــها. وأرفض اتهامــها، وعندى أسبــابى. وهى ليست دفاعاً عن الرجعــية التى ظلمت والصقت بها من صور البشاعــة ما جعلها تبدو لمن لا يعرفها عجوزاً كسيحة بشعة نافرة العروق مغضنة الوجه مهوشة الشعر، وهى الحصافة والحذر والتمــهل والتعقل وكل ما شئت من أسباب البــعد عن النزق والطيش والجــرى بلا عقل وراء كل بدعــة ولو أدت إلى الهلاك.

رجعى أنا؟

وهى شرف لا أدعيــه فهى ـ الرجعيــة ـ الحرص على التقاليــد واحترام السلف وتقديس التراث. ولــم لا؟ أليس الحاضر امتداداً فــعلياً للماضى، واليس المستــقبل طريقاً يبــدأ من الحاضر إلى مــا شاء الله؟ لماذ أذن أرفض الماضى؟ لماذا أعطى ظهرى لصورة جــدى، واتجاوز عن صورة والدى ولا أعطى اهتمامى إلا لصورة ولدى؟

ولدى منى، وأنا من أبى. وأبى من أبيه. وهكذا دواليك السلسلة.

سرحت بعيداً، وساحكى باختصار. فزوجتى طبيبة جمعت إلى رجاحة

عقلهـا ضميراً علمـياً شهدت به جـامعات أوروبا قبلنا. وتزينت بدرجـاتها العلميـة عيادتهـا، وحفلت بنشاطهـا جامعاتنا، وصـار بيتنا قبلة زمـلائها وتلامذتها طلاب مـشورتها ونصيحـتها فى كل مسألة تحـتاج رأيا سديداً مما يجعلها مصدراً دائماً لفخرى واعتزازى. وما يجعلنى فى الوقت نفسه أعيد بين وقت وآخر مشهـداً صرت لتكراره أمقته. ذلك المشـهد الذى اقف فيه كممثل مـبتدىء فتحوا على رأسـه فجأة أضواء كشافات الـتصوير. فوقف تحتها كفأر مذعور غـشيت عيناه وأرهق الخوف قلبه حتى لم يعد يدرى من أين يثب عليه القط المختفى فى مكان ما من ذلك الظلام المحدق به.

ذلك هو أنا عندما يسلطون على أضـواء مجاملاتهم التى يبالغون فـيها وثناءهم وكل ما يستطاب من كلمـات الشكر والمديح على تلك الهدية التى أنعم الله بها على. يقصدون زوجتى بالطبع!

ولست أشكو ولا اتذمـر، لكنى اعـتقـد أنه بات من حـقى أن أرفض النوم أمامها لتـوقع على كشفها الطبى لمجرد أن حـرارتى ارتفعت قليلاً أو أننى أصبت ببعض السعال وبقليل من الرشح.

لماذا تصر هذه الدكتـوره على معاملتى كطفل. تضع كفهـا الباردة فوق اضلعى وتنقر بأصابعها فوق صدرى وأوامرها لا تتوقف خذ نفساً عميقاً.. نفساً أعمق. قل آه.

أقول لنفسى ساخراً. الرجال لا تنطق الآه. فنحن الرجال، أبناء الجيل الماضى، ربينا على احتمال الألم. ترفنا هو الخـشونة. ولهونا هو الشدة،

وكلمتنا هى القانون. لكن فينا رحمة هى من شـيم الفروسية التى نتوارثها عن الاجداد. واتذكر أبيات العبسى عنترة.

ونحن العادلون إذا حكمنا ونحن المشفقون على الرعية

اهز روشتتها فى يدى واكتم سخريتى وفى مساء اليوم التالى ارقد مرتاح الضمير فوق طاولة الكشف أمـام طبيب رجل. صحيح أنه ربما يكون أقل خبرة أو كفاءة من زوجتى لكنه رجل وهذا يكفى.

يقول لى الطبيب بصـوته الواثق. خذ نفساً عميـقاً. . وأقول فى نفسى ولو. .

وتصيبنى بعض خيبة الأمل إذ أسمعه يقول: قل آه:

أقول له معاتباً: حتى أنت يا دكتور؟

يلتفت إلى مدهوشا: نعم؟

وأرد بسرعة: لا شىء. .

وفيـما أنا أرتدى مـلابسى يجلس هو ليكتب لى روشـته العـلاج وهنا تكون الصدمة.

أرفعها أمام عينى وأقرأ اسم نفس الدواء الذى وصفته زوجتى. اشكره بالطبع وما أن اغادر العيادة حتى أمزق الروشتة لكيلاً تراها الدكتورة وأفكر فى طريق عودتى إلى المنزل فى وسيلة اتراجع بهـا عن رجعيتى التى أتزين بها بشرط واحد هو ألا يؤثر قرارى هذا على كبريائى كرجل لابد أن تكون له الكلمة الأولى فى بيته، ولو كانت الكلمة الأخيرة لزوجته. . لا يهم.




الهاى .. والباى !



أهوى رياضة التنس ولا تسألنى ـ أرجوك ـ لماذا فقد لا تعجبك الاجابة . .

ومادمت قد سألت فذنبك على جنبك فقد حذرتك . . أهواها لأنها رياضة الناس «الشيك» الذين ـ الصح أنها اللواتى ـ يتحدثن بالوى والنو والامبوسيبل والهاى والباى والسى يو لاتر .

وقد تابعت اخيراً بطولة مصر الدولية للتنس وغالباً «قل دائماً» ما جاءت جلستى إلى جوار بعض غادات هذا المجتمع فقل أنى تابعت البطولة من خلالهن وقد حزنت . . نعم حزنت فقد وضعت أملى كله على النجم الصاعد العائد من بلاد الأمريكان طارق السقا . فى حين كان كل التشجيع حولى يراهن على اسم فيسكانو وفانكوت وارايا وتريفور وفرناندو ولونا . . لكن كل هذا لا يهم لأن الرياضة كما نعلم غالب ومغلوب . فحزنى لخروج طارق السقا يساوى تماماً فرحتى لو أنه كان أكمل البطولة حتى النهاية .

ستسألنى ـ أعلم فأنت لن تتركنى فى حالى ـ ولماذا إذن الحزن؟ وأقول وكلى كسوف . . أنا حزين لأنه رغم تشجيع الف متفرج وبعد كفاح ساعتين إلا ربعاً وتعادله مع منافسه تريفور ١/١ وفوزه بخمسة اشواط متتالية يهدر السقا جميع ضربات ارساله ليخرج منافسه الاسترالى فائزاً ٦/٢ ويلحق طارق بزملائه المصريين الثلاثة الذين سبقوه إلى الخروج فى الأدوار الأولى للبطولة . .

ستقول وماذا في هذا إذا كنا اتفقنا أن الرياضة غالب ومغلوب؟. وأقول نعم كل هذا معلوم رغم أن كل الدلائل كانت تشير إلى فوز السقا ووصوله إلى دور الأربعة بسهولة حتى أننا خرجنا نقول «يا فرحة ما تمت.. اخذها الاسترالى وطار». حزنى يا سيدى له سبب اخر يوجع اخشى إن أنا قلته لك إلا إجدك إلى جوارى لأنك ستسقط على الأرض من فرط الضحك لكننى رغم هذا سأقوله لك..

سمعت شهقة متفرجة إلى جوارى وهى تهتف: أوه!! افقت لأسأل ملهوفاً ماذا حدث؟!! قالت دون أن تلتفت إلى: أوه.. بور مستر «سكة»!! قلت وقد فاض بى: أوقعت قلبى.. ماذا حدث؟!! قالت وضيقها من لجاجتى وجهلى يبلغ مداه: دونت يونو ؟ مستر «تارك السكة» از أوت!!..

هل علمت الان لماذا أنا حزين؟!

سوبر مان ..
فى القاهرة !





دعوت الله أن تصله رسالتى فلا يكون حظها مثل حظى، قلت له فيها:

صدقنى حاولت.. وضعت لكل شىء احتماله، حسبت وقدرت وخرجت احاول اللحاق بموعدى معك، ولكن كانت «دونك الأهوال» كما كنا نقرأ فى الحواديت زمان. وكأنك المستحيل لا طريق إلى بلوغك أو كأنك أحد آلهة الاوليمب ساكنى قمة الجبل وأنا فى السفح انظر واتحسر.

فكرت فى الدوران حول المنطقة لعلى اجد مسلكاً.. درباً أو حارة. توصلنى إلى المكان (مازلت لا افهم الحكمة العميقة التى من اجلها اخترت وسط البلد وعز الظهر موعداً للقاء) اخيراً لاحت بادرة أمل فدقت انغام الفرح فى داخلى.. واشرفت على درب يفضى إلى «سرة المدينة». على أول الدرب وقفت.. امواج تتلوها امواج من البشر كالبحر الهائج ركبته النوة، على اطراف اصابعى احاول مسح المنطقة بنظرى، لم يبق إلا أن احمل معى منظاراً مكبراً كأننى رومل اضع خطة دخول الاسكندرية، لا ادرى لماذا تذكرت ذلك الفتى الايطالى فى مدينة الملاهى وهو يتسلق حوائط البرميل الخشبى العملاق بموتوسيكله، ونحن ـ كالمشرفين على بئر ـ ننظر إليه فأغرى الافواه وهو يطوف بالبرميل صاعداً هابطاً مطوحاً ذراعيه يتحدى عجزنا الابله. ثم عندما يستقر اخيراً فى قاع البرميل منتصراً يرفع الينا ذراعيه وبلكنته الايطالية يهتف «سقفة للنبى» فنصفق للنبى.

تمنيت فى تلك اللحظة لو أن لى مثل موتوسيكله لأتسلق به حوائط

المدينة فهذا هو الحل الوحيد لاقتحام الشوارع بعد ان فاضت امعاؤها. . وتصور موتوسيكلاً - ولعله اكتشاف للمستقبل - يجرى على الحوائط، والتحقيقات الصحفية وبرامج الاذاعة والتليفزيون لا تتوقف كلاماً عن الاكتشاف الجبار باعتباره الحل الناجح لأزمة المواصلات.

قلت لنفسى: ما هذه الخطرفة، كن واقعياً وتقدم. . ضربت كتفى فى الجموع فانفتحت لى ثغرة، ظللت فترة احاول توسيعها فلم استطع اخرجت كتفى بمشقة بالغة ودرت حول الحشود من جديد ابحث لنفسى عن ثغرة انفذ منها، انحنيت احاول المرور من خلال سيقانهم، اصطدمت رأسى برأس مثل رأسى تحاول المرور من نفق الارجل فانسحبنا كل فى عكس الاتجاه. قفزت فوق الاكتاف فلفظونى بحركة عفوية منهم وجدتنى بعدها مطروحاً على الرصيف كجوال الدقيق الفارغ!

طاف بذهنى وأنا فى رقدتى هذه انه لو أننى اوتيت قوة السوبرمان اذن لصحت صيحته وهببت قافزاً فى الفضاء اطير فوقهم واخرج لسانى لهم، وهكذا تجدنى فى ثانيتين وقد طببت فوق رأسك كالقضاء المستعجل!.

قد تقول: كل هذا لأن القاهرة عاصمة مزدحمة!! وماذا فى هذا ولماذا كل هذه المبالغة والتهويل!!

واتفق معك: نعم القاهرة عاصمة مزدحمة. . خير. . فهذه علامة صحة. . القاهرة يفيض وجهها بالحيوية وهى مدينة حية متأججة فوارة الهمة، تتدفق العافية فى شرايينها هادرة حتى لتكاد تسمع نبضها. لكن

هذه الحركة المتـدفقة تصطدم بما يشبه الجلطة فى الشـريان، توقفها فتـتبدد الطاقـة، وكان ممكناً اسـتغـلالها لآخـر نفس فيـها، وتتـحول إلى مـجرد طرطشات لا خـير فيـها ثم تنحـسر لتعـود تضغط من جديـد وتندفع حتى تصطدم وتنحسر وتتـبدد وهكذا. . هذا الجهد يؤذى قلب القاهرة بالتـأكيد وأظننى لا ابالغ لو اننى قلت انـنى اخشى على القـاهرة ـ الف بعد الشـر عليهـا ـ من تعب القلب، واحسـبها مهـددة به لو لم تحتط له وتتـخذ من الاجراءات ما يكفل لها توقـيه. وها انت ترى الجلطات تزداد فى شرايينها يوماً بعد يوم من تليـفون ومجاري ومياه. . الخ وكلها فى بدايتـها مقدور عليها لكن أين روشـتة العلاج يضعهـا ابقراط مصرى يصف لها فـيها أن تفتح نوافـذها للشمس، تطرد الهـواء الراكد والفكر العطن وتـقضى على فيروسات الشك وفقدان الثقة وتهيىء المناخ للفكر الصالح ليثمر فى أرضها وياليتـه يرفع اصبعه فى وجـهها محـذراً حتى تهتم بصـحتها أولاً وتسـترد عافيتها بعد أن تكون حلت مشـاكلها الداخلية ثم بعد ذلك تجلس مستريحة تستـقبل الانفتاح قـوية عفية. ولعلك ولا شك تعلم أن الانفـتاح لابد أن يبدأ من الداخل. .نفتح قلوبنا وعـقولنا أولاً ثم نتهيأ لاستقـبال الانفتاح الداخل علينا، فهو ـ وأظننا مـتفقين ـ يريد شوارع مفتـوحة، ومروراً بلا اختناقات، ووسائل للاتصال تسعفه ولا توقف مراكبه، ويريد قبل كل هذا عقولاً مفتوحة تفهم معنى الانفتاح.

واعذرنى أن كنت اثـقلت عليك مرتين: مرة لاخـلاف موعـدى معك والثانية لاعتذارى هذا السخيف اليك.



لمعنى ياولد !





فى المسافة بين الوهم والحقيقة حـدثت القصة التى سأحكيها لكم دون تعليق منى ودون مقاطعة منكم أرجوكم..

فى حقيبة يد جلدية قديمة منسية كانت للمرحومة أمى وجدته.. تركت ماكنت أبحث عنه من أوراق وصور قديمة ووقفت أتأمله والدهشة تغمرنى وذكريات الماضى تلفنى فيطوحنى الحنين الى زمان..

قال ولا تزال فى عينيه آثار النعاس: عرفتنى؟

قلت وفرحـة اللقاء تفرض نفـسها فـوق وجهى ابتسـامة كبـيرة: آه.. طبعا.. طبعا.. نعم أعرفك.. انت المليم الأحمر!

بوقـار قـال وهو يتنحنح: علـيك نور! كنت أخـشى ان تـنكرنى أو تخجـل منى!

أضاف وهو يتثاءب: هيه.. أيام!! والآن أغلـق الحقيبة واطفىء النور ودعنى استكمل نومى لأنه خير دواء لمن كان مثلى فى أيام مثل أيامكم..

قلت ملهوفـا: لحظة واحدة ياعم مليم.. الكـلام أخذ وعطاء.. لماذا لاندردش دقيقة أو دقيقتين.. أعرف أحوالك.. وتعرف أحوالنا؟!

قال والزهو يزحف على ملامحـه: أيامكم لاتعجبنى لذلك أهرب منها بالنوم فـأنا مليم أعرف الله ولا أريد ارتكـاب معصـية شـرب الخمـر لكى أنسى..

قلت أشجعه: إحك لى.. واحكى لك.. وفضفض فالفضفضة أيضا

تريحك..

قال ويده في خاصرته متحديا: انت ولد مناكف لاينفع معك التفاهم.. اطفىء النور ورح لحالك واسمع الكلام.. يالله!

قلت متوسلا: لحظة ياعم مليم.. لماذا كل هذا الغضب؟!

قال وقد عاوده التثاؤب: يابنى انا لست غضباناً.. أنا فقط أريد أن أنام.. أليس هذا حقى مثل أى مخلوق؟!

قلت استدرجه : طبعا حقك.. لكننى اشفقت عليك مما رأيتك فيه وقد أغبر لونك وكنت مليما وجيها أحمر اللون مزهزها صاحب شنة ورنة ملعلعا ولك فرحة ولك حضور!

قال وعيناه تتسعان: تعرفنى اذن ياولد؟ هيه.. ماذا تعرف عنى؟.. هيا.. قل!

قلت وقد أحسست بالنجاح فى استدراجه للكلام:

- كل خير..

قال يستحثنى: تعرفنى اذن.. هه؟.. وتذكر ايامى؟.. ياسلام!!

اضاف وعيناه تسرحان فى البعيد: وتذكركم أصبع عسلية كنت اشتريها لك؟

قلت مؤمنا: اثنان

- وكم خساية؟

قلت: واحدة

- وكم قرص طعمية؟

- اثنان

قال مسترسلا: وعود قصب وقرطاس لب بحجم صفحة الكراس الميرى وبسكوتة جيلاتى وكوب خروب مثلج فى حر الصيف!

قلت وقد أسالت الذكريات لعابى: آه ياعم مليم.. ما أحلى ايامك!!

ثم مستدركا: عم مليم!!

قال مفيقا من أحلامه: ماذا؟

قلت مصححا: عود القصب كنا نشتريه بالتعريفة ياعم مليم!

قال: آه.. انت اذن من مواليد سنة أربعين وما بعدها.. يعرفنى اذن من هم أكبر منك..

قلت مندهشا: كيف عرفتنى ايها المليم العفريت؟!

قال متصنعا الوقار: ولد.. حاسب فى كلامك ولا تنس اننى لست «عيلا» الاعبك.. احترم سنى من فضلك..

قلت معتذرا: آسف ياعم مليم وسامحنى.. هات رأسك لأقبلها..

ازاح يدى بعيدا ثم أردف مواصلا : وتذكرة السينما.. بكم كانت؟

قلت: وعيت عليها بمليمات تسعة.

ـ عفارم.. وكم فيلما كانت السينما تعرض؟

قلت: ثلاثة بين عربى وأفرنجي

قال: يعنى الفيلم بثلاثة مليمات؟!

أومأ لى برأسه مشيرا لأقترب فاقتربت.. مال نحوى كمن يهم بأن يفضى الى بالسر الخطير فملت برأسى نحوه لأفاجأ بكفه المليمية الجافة تطرقع فوق وجهى..

مذعورا هتفت: لماذا ياعم مليم؟!

قال: لأنك ولد جاحد من جنس جاحد.. ابعد كل هذا النعيم الذى متعتكم به يكون هذا جزائى.. استخص على هذه الأيام.. اذهب الآن.. غرّ ودعنى أنام.. ياالله.. رح فى داهية!

قلت متوسلا أطلب الصفح: سامحنى ياعم مليم.. اقسم اننى لم أكن أعلم مكانتك واننى كنت أبحث عنك.. أوحشتنى والله ياعم مليم..

واصلت والدموع تخنق كلماتى.. أوحشتنى والله.. أين راحت أيامك الحلوة؟

ربت بكفه فوق كـتفى وهو يقول مواسيا: خلاص سـامحتك. . ياالله ابتسم الآن وتعال ياولد لتلمعنى!

قلت مستوضحا: نعم؟

قال مستغربا: إيه! تلمعنى. . الم تسمعنى؟!

قلت وقد بدأت أفهم: آه آه. . حاضر ألمعك. . فهمت الآن. .

ثم مداعبا. . تريد الوجاهة ياعم مليم يامعجبانى ياقيم. . كانت أيامكم والله أنسا وحظا وفرفشة!!

قال متعجلا : هيا بلاش لكاعة. . لمعنى!

سحبت قطعة من خرقة صوفية خشنة ورحت ادعك وجهه وظهره بينما هو لايكف عن الصـراخ والفلفـصـة حتى اسـتطاع أخـيـرا أن يفلت من يدى. .

قال وهو يلهث ووجهه يكاد ينفجـر غيظا. . ياحمار لمعنى. . ألا تعرف كيف تلمعنى ؟ كيف تلمعون لاعبى الكرة عندكم. . نجوم السينما والمسرح وأى هلفوت يجعر على شـريط. . لمعنى يابنى آدم مثلهم. . يعنى بالبلدى اصنع منى شـيئـا له قيـمة. . ألست صـحفـيا؟! قل شـيئـا عنى. . احك تاريخى. . اذكر امـجادى. . اشد بفضـائلى. . ترحم على أيامى. . افعل شيئا. . أف. . ياساتر!!

قلت وقد بدأت أسأمه: عم مليم. . اذهب لتنام أحسن لك!

قال وقـد بدا انه وضع اصابعه العـشرة فى الشق من غبـاوتى: أحسن برضه لكى أغور من وجهك هذا الذى لايعجبنى.. جيل فاسد!!

كور فمه ومال برأسه للخلف فأسرعت أغلق ضلفة الدولاب فى وجهه وقد بدا لى أننى أسمع صوتا من الداخل يقول: تفووو!!»

منى.. ورغدة!

سرحت فى لحظة انسجام نادرة أردد قول الشاعر:

منى.. ان تكن حقا تكن أعذب المنى

والا فقـد عشـــنا بها زمنـا رغـدا

دقت زوجتى صدرها بكـفها قائلة: يالهوى.. يعنى مـش كفاية منى؟ لأ.. ورغدة كمان!! قل لى بسرعة عرفتهم أمتى دول؟.. انطق!!


چی نی پا شانچیة



هناك دائماً مسافة بين القول والفعل. فى هذه المسافة رحت أعيد على ابنتى ما سبق أن قلته لها من قبل..

نعم.. أعى تماماً فارق الأجيال بيننا.. فنحن ـ أقصد أنا ـ من جيل تربى على الحان كامل الخلعى ومحمد عثمان وداود حسنى.. وتمايل طربا مع سيد درويش وزكريا أحمد وعبدالوهاب والسنباطى.. وحملته اجنحة الشوق مع مقامات البياتى والسيكا والصبا والنهاوند.. عسير إذن على من كان مثلى أن يقبل بسهولة أن تلعلع فى بيته موسيقى أشبه بالدق على أوانى الطبخ وصفائح الكيروسين الفارغة يسمونها الدسكو.. وأن تندب فى اذنيه كطلقات الرصاص ولولة رجال ونواح نساء يسمونهم مغنين لهم فى دنيا هذه الدسكو شهرة وصيت.

قلت لابنتى وأصوات الدق الصادرة من جهاز الكاسيت تزلزل جدران رأسى: أين هذا الصراخ من نشوة طرب ـ اخفضى قليلاً صوت هذا الوحش حتى استطيع الكلام ـ من نشوة طرب عمالقة الغناء الشرقى؟. ورحت على اصابعى أعد اسماءهم أمامها..

نظرت إلىّ فى قليل اكتراث

واصلت أنا في حماس: خذى مثلاً موشحاً مثل «يا غصن نقا» لكامل الخلعى.. أو دور «أصل الغرام نظرة» لمحمد عثمان أو «أفديك ظبياً».. أو «كل ما أرى فيك حسن».. تندت عيناى للذكرى.. ياالجمال الأمس ويالروعة وصفاء لياليه حريرية الذكرى تهزنى فى رفق فيحملنى تيار من

الحنين لماضٍ مبتسم.

افـقت من أحلامى على صـوت ابنتى تسـألنى فى دهشة لماذا أنا اكـره الدسكو إلى هذا الحـد؟ بدا لها موقـفي هذا غريباً.. بـل وشاذا لا منطق فيه..

قلت وثقتى على حسم الحوار تـفيض حتى تملأ صدرى: لأن الدسكو غناء لا طرب فيه وموسيقى هى الضجيج بعينه فى عالم لم يعد للهدوء فيه مكان..

كمهاجم فى فـريق كرة القدم أحرز لتوه هدفاً بارعـاً فى مرمى الخصوم هتـفت ابنتى منتصـرة: ها.. قلتـها أنت بنفـسك.. هذه يا أبى هى روح العصـر.. السرعـة والحركـة.. لا مجال للهـدوء فى عالم يسـابق الزمن ويحرز انتصاراً جديداً مع كل ثانية تسجلها آلات التوقيت..

أحسست بثـقتى فى نفسى تتسـرب خارجة. همست لنفسى «فـلأ فجر الآن قنبلتى التى ستحسم هذه المناقشة».

رفعت ذراعى فى وجهها: ومع ذلك فـأنا اعتقد أن اغانى الدسكو هذه على مـا فـيهـا من صـخب تخلو من حـرارة الحيـاة.. وهى خـاوية بلا مضمون..

رفعت حاجبيها تستـوضحنى.. أضفت: اسمعى مثلاً المغنى عندنا حين يقول أنا هويت وانتهيت.. هو هنا يبثنا شكواه.. يلـقى بين أيدينا مصيبته يريد أن نشاركه فيها.. نعزيه فى حزنه ونخفف عنه بلواه.. انتهاؤه الذى

يقصده فى اغنيته هو انتهاء فى المحبوب وفناء فيه يكاد يقترب من التصوف حين يفنى الصوفى ذاته فى ذات المحبوب الأعلى وهو الخالق سبحانه.. أليس الحب هنا نوعاً من التصوف يرتفع بعاطفة الإنسان إلى قمم من السمو لم تبلغها من قبل؟.

واصلت وحماسى يسبق كلماتى: واسمعى فى ذات الوقت مغنياً عالمياً شهيراً كخوليو اغلاسياس مثلا حين يقول لمحبوبته: «جى نى باشنجيه» يعنى أنه باق على حالة لم يتغير وأضيف من عندى: ولن يتغير! وهذا نوع من البلادة العاطفية لا تعرفه أغانينا.. أليست بلادة أن أصارح حبيبتى بارد الوجه أننى كجلمود الصخر لا أتأثر.. بل ولم يحرك حبها فى وجدانى شعره؟!.. هذا حبيب لا يعرف كيف يذوب وجدا وشجنا وشوقاً فى محبوبه.. ذلك الذوب الذى يمتلىء به غناؤنا..

قالت ابنتى ولا أثر للانفعال على وجهها: ليكن ما تقول.. وهو وجهة نظر على أى حال.. لكنك لا تستطيع أن تلغى من الوجود عالماً من الموسيقى اسمه الدسكو.. اركانه فرق عالمية الشهرة مثل البونى إم والبيجيز والآبا والبكاراه وغيرهم.

تدخلت بيننا أصوات الضجة المجنونة التى تعربد على هواها فى بيتى. رفعت صوتى اسألها بالمناسبة عن اسماء هؤلاء المتوحشين الذين افترسوا اعصابى وراحوا يتلمظون ويلعقون شفاههم بعدما اتوا على كل ما فى الدنيا ـ أقصد ما كان فى الدنيا ـ من وداعة.. مالت بوجها ناحيتى وكفها خلف اذنها حتى تسمعنى.. كررت سؤالى رافعاً صوتى إلى اقصى درجة

استطيعها قالت: آه.. هؤلاء هم البيجيز فى اغنيتهم المشهورة «تراجيدى».. اسمعها يا أبى وستعجبك.. أنا واثقة.. قلت بينى وبين نفسى بينما أنا احكم اغلاق باب غرفتى خلفى لأصد عن نفسى غائلة ذلك الهجوم البربرى الكاسح: «تعجبنى أنا؟ هه.. ولو.. جي نى با شانجيه!!»


حلم ليلة حب !



كيف تستطيع حواء أن تحول حبيبها إلى زوجها ثم تبكى عليه؟!

هل هى فطرتها؟.. موهبتها؟

من هنا تبدأ رحلة البصل على امتداد الحياة الزوجية بعد انقضاء لحظات العسل.

آه.. اتذكر كل هذا وحاجباى مرفوعان دهشة!.. إلى هذا الحد من اعتساف الواقع وقطع رقبة الحقائق تولغ المرأة فى العناد.. تفرد قلوعها وتبحر ولا شطآن امامها إلا الافق كحلى الزرقة واللجة العالية وعنادها الذى لا يعرف اليأس بعد أن مسح المستحيل باستيكة..

كالجرذ.. يدخل الرجل قفص الزوجية وداخل رأسه الفارغ كصفيحة جبن جدتى تعربد فكرة يشعر لفرط ارتفاع صوتها داخل الفضاء الرنان انها هى كل الحقيقة ولا حقيقة سواها.. حقيقة يعتقدها رغم عدم وجودها توسوس له انه اوقع هذه المرأة فى غرامه وسحبها.. هكذا.. الى قفص الزوجية لتصبح ملكا له.. حبه.. وهيامه.. وسعادته.. ونور عينيه.

يقول هو لنفسه هذا.. ويقول الواقع شيئا اخر.. هذا الزوج ـ أنا أو أنت فكلنا فى الهم ـ يبدأ فى دخول أغرب عملية يعيشها فى حياته عندما تبدأ رحلة التحول من شاب عاشق متيم يرى مستقبله فى عمق نظرة من عينى حبيبته.. وحر الدنيا لا يستشعره الا من حر تنهداتها.. دموعها امطار استوائية والق عينيها هو مهرجان فرحة ميلاد صبح جديد تزفه الشمس الى الدنيا.. وآه من لمسة باطراف اناملها ولا يصح ان تقول

اصابعها.. هنا تشتعل الكهرباء فى كل جسم المسكين الحالم السارح مفتوح الفم يكاد يذوب من حر اشواقه..

ينقلب الحال فجأة بعد الزواج.. حالم الأمس يحمل شنطتى خضار وغيار وينفخ وهو يصعد السلم.. يريد أن يهرش ارنبه انفه أو يهش ذبابة التصقت بجبهته فلا يستطيع.. عرقه يشر من كل جسمه.. يتذكر على عتبة الدور الخامس انه نسى اهم شئ فى مشوار اليوم.. جواب ماما «حماته» الذى وصل بالامس وفيه سلامات المحروس ابنها البكرى من بلاد بره.. ولا يملك المسكين «انا وانت اتفقنا خلاص!» الا ان يعود ادراجه بكل هدوء وهو يدعو الله ألا تراه زوجته متلبسا بواقعة النسيان ويالها من جريمة لا تغفرها ابدا زوجة كانت حبيبة سابقا لأن النسيان هنا لابد أن يخفى وراءه ما هو ابشع.. وهل ابشع من انشغال فكرك بامرأة اخرى؟! خيال زوجتك يصور لها هذا والغيرة تأكل قلبها وتتمنى اليوم الذى تضبطك فيه تغازل امرأة غيرها ولو داخل جمجمة رأسك الفارغ الذى تصفر فيه الريح.. هذه مشكلتك فتصرف فيها وحدك أما أنا فقد حللت مشكلتى منذ زمن بعيد.. سأحكى لك وستفهم..

مستريحاً اجلس فى انتظار «طلة» زوجتى.. عمرى.. وحبى وكل حياتى لأهب «نعم أهب» مستحضرا كل مالدى من طاقة على قلش المشاكل بعيدا قائلا بذراعين مفتوحين:

«ياهلا بالنور.. ايه الجمال ده كله.. بسم الله ما شاء الله.. موش ممكن ياخواتى اللى بيحصل ده..»

ثم.. بشوية جد.. ياناس انا لازم امى داعية لى.. ده انا لازم باحلم.. انا موش مصدق نفسى!!».

ابتسامتها التى تتسع تقول اننى قد احكمت السيطرة على الموقف لأضمن ليلة هادئة ربما تخللتها بعض كلمات لا تضر مثل «اطفى النور كفاية نور عينيكى علينا» أو «ش.. ش.. ش.. ولا كلمة.. خلينى احلم كده على طول باول يوم شفتك فيه»..

ثم اغمض عينى لأدخل فى النوم الجميل بينما تنتظر الهانم عودتى من حلم ليلة لقائنا الأول!!


زوجتي جهيزة !



تهوى النساء الثرثرة.. هذه طبيعة فيهن وأظن أن لها حكمة. فأنا اعتقد أنه لا شيء فى هذه الدنيا بلا حكمة. لست أعرف ما هى بالطبع لكنها ولا شك موجودة ولن اشغل نفسى بما لا أعرف فوقتى أضيق من أن أضيعه كالفلاسفة أبحث فى أشياء لا أعرف من أين تبدأ ولن أعرف مهما حاولت كيف تنتهى ..هى موجودة وكفى!

لماذا أبدأ بهذه المقدمة؟

لكى ادخل منها على ما حدث لى فى ذلك اليوم الذى لا أنساه لزوجتى.

كانت العرب قديماً تضرب المثل بحكمة الفتاة جهيزة التى قالت قولاً فصلاً فى أمر وقع لهم «قطعت جهيزة قول كل خطيب».. ولا أظن أن زوجتى تختلف عن جهيزة هذه الا باختلاف العصر الذى وجدت فيه كل منهما..

استيقظت فى الصباح على صوت زوجتى تخاطب فى الصالون شخصاً ما.. صوت انثوى آخر يبادلها حديثاً مسترخياً هو إلى الثرثرة أقرب.. ارهفت سمعى قليلاً.. لم أكن بالقطع أقصد التصنت على ما تقولان. لكننى لبرهة أردت أن أعرف من تلك الضيفة التى «طبت» علينا مبكراً فى ذلك الصباح على غير عادة الزيارات.. مالى وهذا..

جلست فى فراشى منكوش الشعر أحك شعر ذقنى النابت وأشعر برغبة شديدة فى شرب كوب شاى الصباح من يد زوجتى كما هى عادتى قبل أن انهض من فراشى لأبدأ يومى..

فكرت للحظة فى أن أرفع عقيرتى أنادي زوجتي لكننى وجدت أنه من

عدم اللياقة أن أقطع عليها خلوتها مع صديقة جـاءت تتسامر معها ولعلهما تناقشان معاً بعض أمور البيوت فـيما لا يخصنى . . وصفة جديدة لطبق قد أسعد به على مـائدة الغداء أو موديلاً جديد لثوب قد تفـاجئنى به زوجتى ذات يوم أو غير هذا مما يهم النساء . .

لا شأن لى بهذا. قلت لنفسى، لكننى على أى حال أريد أن أبدأ يومى ولن يبدأ بغير زوجتى.

لا فائدة مازالت الثرثرة مستمرة وايقاع الغيظ داخلى بدأ يسفر عن نفسه ويدق فوق اعصابى ويتصاعد يطلب منى أن أفعل شيئاً . .

فكرت فى أن اتـنحنح، هى فكرة علـى أية حـال وهى حـيلـة قـديمة صحـيح مكشـوفة لكنهـا قد تنفع، لكـننى كجنتلمـان هززت رأسى انفى الفكرة فقررت ارجاءها إلى وقت آخر قد أجدها فيها أكثر ضرورة.

أزحت الغطاء من فوقى وقـمت اتسحب إلى الحمام مـحاذراً أن يصدر عنى صوت قد يسبب أى درجة من الحرج لضيفة زوجتى فأنا رجل أحسب حساباً لمشاعر الناس عموماً والنساء بشكل خاص.

أغلقت خلفى البـاب بهدوء ورغم ذلك لم أفلح فى منع ذلـك الصرير الذى يحدثه فى كل مرة افتحه أو أغلقه.

توقف الصوت فى الخـارج لحظة ثم عادت الثرثرة تهـدر من جديد . . وقفت أمام المرآة بائسـا مشعث الشعر . . تحـسست ذقنى وملت اتفرس فى وجهى المرهق وعينىّ اللتين تصرخان فى طلب كوب الشاى . .

رحت أحلق ذقنى فى بطء شـديد لعلى أسمع اصـطفافه بـاب الخروج

تنذر بانتهاء الغارة الصباحية وجلاء الضيفة عن ساحتنا . .

كالحلم سمعت . . أو لعله خيّل إلىّ أننى سـمعت صوت الباب ينفتح وينغلق . .

خرجت من أسرى مهـرولاً إلى الصالون. الصابون على نصف وجهى وعلى شفتى ابتسامة النصر أهتف: أخيراً خرجت تلك الثرثارة؟!

كالمصعـوق وقفت فى ملابس النوم أمام زوجتى وجـارتها . . لم أكمل الجملة . . أحســست بأننى أسبح فى بحر من الماء البـارد، وأستولت على ثلاثتنا حـالة من الارتباك وذهول المفـاجأة حتى امـتد إلىّ صـوت زوجتى ينتشلنى من غرقى. قالت بابتسامـتها التى حسمت كل شىء: نعم خرجت من بدرى . . البس الآن وتعال لتسلم على أعز صديقاتى التى دائماً أحكى لك عن ظرفها ورقتها و . . و . .

ورحت أهز رأسى هزات سريعة ادارى بها ارتباكى مردداً كالببغاء «أهلا وسهـلاً» . . «أهلاً وسهلاً» . . وأسـرعت أختفى من أمـامهما وشـعورى بالامتنان نحو زوجتى يتـزايد وتتزايد معه ثقتى فى رجاحة عـقلها وقدرتها على حـسن التصرف فى مـواجهـة مثل هذه المواقف الحـرجة . . حـاجة غريبة!!

سألت نفسى وأنا أكمل ارتداء مـلابسى وقد عادت الدماء إلى وجهى: هل كانت جهيزة تستطيع أن تفعل ما فعلته زوجتى اليوم؟ . . لا أظن!



ولا اشكو!





كلهم نفس الرجل

تتعـددد صورهم وطبـاعهم لكنهم فـى النهاية يعـودون إلى أب واحد وأصل واحد فهم إذن. . واحد!

هذه هى النتيجة التى توصلت إليهـا بعد مشوار ثلاثين عاماً من الزواج لست بالطبع انكر نعـمة الله فأنا لست جـاحدة. أعتـرف بأننى وفقت فى زواجى من رجل فاضل وأب حنون وزوج لا يتوانى لحظة عن التفكير فى اسعاد بيـته وتوفير كل أسبـاب الراحة له، لكننى أحياناً اسـرح فاقارن بين حالى قبل الزواج وأنا بعـد فتاة ما زالت تحلم بشكل فتـاها وعلى أى هيئة يكون. تراه فارساً ممشوقـاً يترقرق صوته كماء الغدير وتـومض عيناه بلمعة الحب، يحتوينى عالمه فأغيب فـيه كالمسحورة. وأحلم. . وأحلم. . بالبيت عش الزوجية جنـة أحلامى وفردوسى ومملكتى، وأحلم بالصغـار كأفراخ الطيور تشقشق حولنا فتملأ الدنيا سعادة ونعيماً.

وأعود إلى حالي فـأجدنى ـ ولا أشكو ـ أما كهلة مترهلة نافـدة الصبر منتفخة العينين من الاجهاد والسهر. وأسأل نفسى: هل أنا أم حنون؟ نعم ست بيت. نعم زوجـة مـدبـرة تـسـتطيع إدارة بيتـها كـما تدير مـفتـاح الراديو؟ نعم.

أسـمع صـوت ارتطام شيء يتـكسـر داخل غـرفـة نومى. أعـرف أنه العفريت الصغير آخر العنقود وقرة عين أبيه فأصرخ. وأسمع صوت قدميه الصغيرتين وهو يهرب إلى مكتبه لاستئناف مذاكرته.

واكتـشف غياب بعض أدوات الماكـياج الخاصـة بى. أعرف بالطبع أين ذهبت لكننى لا أجـروء على مكاشـفة أبنتي. هل اتـهمـها؟ لا اسـتطيع. وأقول لنفسى: يوما ما سنضحك معاً على هذه المواقف؟

اتذكر أيامى الأولى فى الزواج، بل والشـهور والسنوات الأولى أيضاً. ولا أدعى أننى أعرف بالتحديد معنى شهـر العسل وماذا يقصدون به لكننى اسـتطيع أن أؤكد أن أعـوامى الأولى فى عـمر تجـربة زواجى كانت نهـراً متدفقاً من الحب والتفاهم والحنان.

وأصحـو على واقعى اليـوم. اتلفت حولـى فلا أجد أثراً لنـهر الحب هذا. هل جف ماؤه؟ أسأل نفسى: واجيب. بل هو موجود لكننا لم نعد ننزله. لماذا؟ لأننا أنشغلنا عنه بمشاكل بيـتنا وأولادنا وهموم حياتنا التى بلا رحمة.

أقول أيضاً هي مسؤوليتنا بكل تأكيـد. مسؤولية زوجى ثم مسؤوليتى. نحن سمحنا للحيـاة أن تدخل بوجهها الكئيب بيتنا وتفـرض واقعها علينا. السنا نحتاج إلى شىء من الخيال ومن الرومـانسية بين الحين والحين لينقذنا من جفاف حـياتنا ويبقى عليهـا نضارتها الأولى ويحفظ لهـا أخضرار أيام زهوتها؟. أعلم أنه حل نظرى لا يمكن تطبيقه. فلا مـشاغل حياتنا اليومية ولا اسـتعـداد كل منا الآن سيـسمح بشىء من هذا وأقـول لا مبـرر إذن للشكوى من واقع تكيـفنا معـه وأصبـحنا جزءاً منه قـبـل أن يصـبح هـو جزءاً منا.

وتمر الأيام مسرعة أمام عينى ويحضر خطيب ابنتى لزيارتنا ويجلسان يلوذان بركن من العش. وترفع ابنتى عينين خجلتين نحوى. أفهم أنها تريد أن تكلم خطيبها لكن خوفها منى يمنعها، وأنهض متعللة بشأن من شئون البيت لأفسح لهما مجالاً يتنفسان فيه حبهما قبل أن تدهمهما الحياة فى سيرها الذى لا يتوقف.

وتطوف بى صورة خطيبى، زوجى ووالد ابنائى يوم كان يزورنا ونجلس متجاورين كطائرين صغيرين يبحثان عن الأمان.

اتنهد وأقول: يوم يصبح هذا الشاب، خطيب ابنتى، رجلاً كهلاً كزوجى طيباً وديعاً وحنوناً سيبتعد نهر الحب عن ناظريهما ويبدأ جفاف الحياة يصبغ أيامهما فيحسان حرها والنهر خلف ظهريهما لا يريانه.

أعود بعد قليل فتسحب ابنتى يدها فى خوف من يد خطيبها. أتظاهر بأنني لم أرها. وأدعو لهما ألا يعرف الجفاف طريقه إلى حياتهما وأن تظل خضرة أيامهما ممتدة تفرش ظلها على كل يوم فى مستقبل عمرهما



مخلوق اسمه الرجل !



عجـيب امر هؤلاء الرجال ناقـصى اللياقة وفـاقدى الاتيكيت. يجلس الرجل و«ينجعص» طالبا من الشغالة زوجـته التى اشتراها له السيد الوالد ان تصنع له فنجانا من القـهوة او كوبا من الشـاى!! أردد بين وبين نفسى وأنا اتهيـأ للقيام: يعنى أنت على رجليك نـقش الحنة؟ لماذا لا تهز طولك وتقوم أنت؟ يـأتينى صوته وعيـناه تتابعان التلـيفزيون: يالله. . انـتى لسة ماقمتيش؟!

ألست آدمـية مـثله؟ الست نصـفـه الحلو أن كـانت فيـه أى مـساحـة للحلاوة؟! اقـولها بصراحة الخطأ خطؤنا نحن السـيدات لأننا نربى أولادنا الصبيان لكى يشبـوا رجالا نسودهم علينا. . نحن نصنع لهم هالات الكبر والغطرسة والغرور بـتدليلهم اطفالا. . ثم نغضب ونثـور ونتمرد ونرفض عندما نتزوج ونصبح سيدات بـيوت. . اشربن المر اذن. . احتملن وادفعن الثمن الآن واياكن ان تفتح واحـدة منكن فمها. . مفـهوم!! وافكر. . ما الحل الآن وكيف اضع خططى لتـصحيح هذا الوضع الذى وضعـتنى فيه امى والذى وضعـتهـا فيه امـها. . كـيف اتعامل مع رجل يتـصور نفـسه صـاحب كل الحـقـوق وعلى ان اؤدى كل الـواجـبـات؟! هو الملك وأنا الرعية. . هو القاضى وأنا المتهم. . وهو السياف وأنا الضحية؟!

حاضـر. . حالا. . اقولها وانهض لأعـمل له فنجانا من القهـوة ادعو الله ان يعـجبه حـتى أوفر على نـفسى درسا اتـلقاه منه فى كـيفيـة صنع القهـوة. . وكيف كانت المرحومـة والدته. . الف رحمة ونور. . تصنعـها

للسيد الـوالد. . الف رحمة ونور أيضاً. . افكر ـ مـجرد فكرة ـ أن اقذف الفنجان في وجهه لو فتح فمه بكلمة. . عليه ان يحمد ربه ويشرب قهوته وهو صامت ويدعنى انا اتابع المسلسل. . بعـد قليل سيشرب قـهوته ويبدأ فى حفل من التشخير الاصلى فازغده فى كتفه ليذهب الى سريره ويريحنا لابدأ أنا سـهرتى دون مـوسـيقى القـرب التى يصـدرها كلما جلس أمـام التليفزيون.

ـ قوم نام ياحبيبى انت باين عليك تعبان!

ـ أنا زى الفل!!

هكذا هو دائما عنيد ومقاوح ويتصور نفسه عنتر زمانه. . سأحكى لكم هنا ـ ضرورى أحكى ـ لماذا اشفق عليه من ثورتى يوما ما لو فارت مراجل غضبى. .

القصد. .

الذى لم يسـتطع ان يحكيـه وسـأقـوله انا بكل ثبـات وجـرأة هو أنه أهاننى. .اهىء اهـىء. . والنبى يا أخـتى أهاننـى. . وأمـام جـيـرانى. . وتصورى حالى وهو يهتز امامى كقرد ربطوه بسلسلة يرفع يديه ويخفضهما ويزعق ويشخط ويشـوح ويهدد حتى حـدثت الكارثة رفع يده ليهـوى بها على وجهى. يقـول هو أنه لم يفعل؟! وهل يجرؤ؟ تسألينني عـن سبب هذا كله؟ حـسنا. . اسمـعى: كنت اشـيع طفلا صـديقا لابنى من فـوق

درابزين السلم احمله السلام للست امه حبيبتى قائلة له قبل ادخل شقتى: ماتنساش يا حبيبى.. مع السلامةياروح قلبى.. لافاجأ بسبع البرومبة الذى يسمونه زوجى فوق رأسى يسأل وهو ينتفض من الغضب: مين حبيبك ده وروح قلبك ياللى تنشكى فى قلبك؟ انطقى مين قبل ما اطلع روحك!!

هكذا!! بعد هذه السنين؟؟ ومن؟ أنا؟! ولماذا؟ الأننى كنت اكلم طفلا عمره لا يزيد على العشرين عاما هى عمر ولدى؟! ارأيتم إلى أى حد يتصرف هذا المخلوق الظالم الذى يسمونه «الرجل»!!




ريجيم !



وقفت أتأمل نفسى فى المرآة. درت بجسمى نصف دورة إلى اليمين ثم إلى الشمال وتنهدت. لم أعد تلك الفتاة الرشيقة الخفيفة التى كنت أعرفها منذ عشرين عاماً يوم التقيت بزوجى لأول مرة فى حفل عيد ميلاد أبنة أسرة صديقة.

منذ تلك اللحظة التى اكتشفت فيها أن وزنى زاد بدرجة مخيفة قررت عملاً بمشورة صديقة لى أن الجأ إلى الريجيم رغم قسوته على من كانت مثلى. وبالفعل رحت اسأل كل من اثق فى حسن مشورتها من صديقاتى عن افضل انواع الريجيم واسهلها عند التنفيذ وبدأت اتخبط بين أنواع شتى من ريجيم الموز إلى ريجيم اللبن والليمون الحامض وقائمة الكربوهيدرات الممنوعة.

قالت لى مرة إحدى قريباتى المتقدمات فى السن ان كل هذا لا يجدى. فتحت عينى على اتساعهما دهشة. اضافت تؤكد لى بخبرتها التى تقطع أى محاولة منى للشك فى حرف مما تقول أنها كانت يوماً ما فى صباها مثلى. كلنا نمر بهذه المرحلة وكلنا حاولنا مثلك. ولا فائدة. ترددت على عيادات الاطباء المختصين بعلاج السمنة الزائدة واختصاصيى الغدد حتى كدت افقد حياتى وبيتى وزوجى..

كلماتها تقع على كضربات الملاكم المحترف تكاد تسقطنى بالضربة القاضية!

هتفت كمن تستغيث «والحل»؟!

قلت لنفسى: هذه السيـدة لا تقدر حجم مسئوليـات الزوجة ربة البيت ولا شك.. لا تتصور مـثلاً أنها مسـئولة عن اطفال صغـار، عن طعامهم وملبسهم وصحتهم ودروسهم، عن بيت يحتاج إلى كل لحظة من اهتمامها ومبـاشرتها واشرافـها. من أين إذن الوقت الذى سأذهب فـيه إلى أى ناد لأمارس نـوعاً من الرياضـة يوميـاً ومعى فـوق اكتـافى كل هذا الكم من المشاغل؟ لذلك قـررت أن استـمر فى اتباع الريجـيم مهـما كانت قـسوته وحرمـانه وبدأت أبحث فى كل الجـرائد والمجلات الطبـية والنسائـية عن افضل وصفاته.. أجرب الواحدة منها فترة ولا أجد نتيجة سريعة فأهجرها إلى غيرها حتى كان ذلك اليوم الذى قـررت فيه بشكل نهائى أنه لا ريجيم ولا رياضة مهما كانت النتائج.

كنت أعـد لأسرتى غـداءها، فـاتنى أن أقول لكم إنـنى طاهية مـاهرة بشهادة زوجى أولا وكل الأسرة ثانياً ثم كل الاصدقاء والمعارف ثالثا.

وقفت أمام الفـرن أصنع أنواع المشويات والفرنيات والمـسبكات ورائحة الطهو الشهى تصيب معدتى الخاوية بما يشبه الجنون.

جـاءنى صوت زوجى من غـرفة المائدة يسـتـعجلنى.. بعـده سمـعت شقشـقات صغارى «الطعـام يا ماما» أسرعت أحمل اليـهم صوانى اللحم والمكرونة والخضر والحـساء والسلاطة حتى امتلأت السـفرة أمامهم وبدأوا يقبلون على غدائهم بشهية ارتاح لها..

التفت إلى زوجى بعد فترة يسألنى لماذا لا آكل معهم؟

قلت بعد تردد: «الريجيم».

مال نحوى يتأكد مما سمعه

كررت «الريجيم».

ورحت ارشف من كوب عصير الليمون الحامض بدون سكر أمامى

سألنى زوجى بصبر شديد:

ولماذا هذا الريجيم.؟ هل أنت مريضة لا قدر الله؟

قلت: لست مريضة.. ولكن للرشاقة..

سأل مرة ثانية وصبره لم ينفد بعد: رشاقة من أجل ماذا؟

قلت كالشهيدة: من أجلك طبعاً..

قال: لم أطلب شيئاً من هذا..

أضاف وقد توقف عن تناول الطعام تماماً: كل ما اطلبه زوجة تشاركنى حياتى بالكامل فلماذا تعذبين نفسك بهذا الحرمان الذى لا مبرر له؟..

أشار إلى الطعام أمامه كـمن حسم المسألة فى لحظة: هيا ذوقى هذا.. ان طعمه لذيذ.

ومد يده نحوى بقطعة من اللحم المشوى الذى اجيد صنعه.

ترددت لحظة..

هز رأسه يستحثني مبتسماً. . لأجل خاطرى.

مـددت يدى اتناولهـا منه. . كـانت بالفعل شـهـيـة. لم انتظر منه أن يناولنى الثانية. كنت قـد سبقته إليها. وفى لحـظات كانت أصوات الشوك والملاعق والسكاكين تعزف لحنا مشتـركاً بديع النغم. . تلفت حولى اتطلع إلى عيون زوجى وولدى وابنتى. . كانت السعادة ترفرف فوقهم [illegible] عيونهم. قلت بينى وبين نفـسى «هذه الأسرة الصغيرة الملتـفة حول المائدة الآن أسرة سـعيدة بسبـبى ومن غير المعقـول أن أكون أنا مصدر سـعادتهم وتعاستهم فى وقت واحد».

ورحت اتناول طعامى معهم بشهية مفتوحة.



سأقسو

اعترف انـا كاتبة هذا الاعتـراف بأنني لا أفهم زوجي . ليس لأنني لم أحاول بل ربما على العكس لأنني حاولت .

قالت لي غريزة الانثي يوما أن هذا الرجل زوجي يخفي وراءه شيئا .

قلبت رأيهـا ـ غريزتي ــ عل كل الوجوه لأري مـقدار وجـاهته . في البداية طبـعا نفيت عن زوجي أي شيء لكن القـرائن والدلائل والشواهد التي قدمـتها لي وعرضـتها غـريزة الانثي كانت أقوي من دفـاعي العاطفي الهش .

قالت غريزتي : ألا تلاحظين انه يعـود متأخراً أياما كثـيرة يتسحب؟ . واذا صادف يوما وضبطته وكانت الساعة تتجاوز منتصف الليل وسألته أين كـان. . ألم تلاحظي ارتبـاكـه . ألم تلاحظي انكسـار نظرته الي الارض لايريد بل لا يقوي علي أن يرفع عينيه في عينيك . .

وماذا تكون حـجته ــ تـضيف غريزتي ــ الشـغل!! يابلهاء ــ احـيانا تتـبسط مـعي غريزتي ــ اي شـغل هذا الذي يدوم الي مـا بعد منتـصف الليل؟ افيقي يوما وقفى منه وقفة حزم تصلح حاله وحالك .

اقول لنفسي: وجهة نظر والله. . ولم لا؟

سأقسو ليزدجر. . واحيانا لأني احبه . .

تقول غريزتي : الله . الله . ألم تـلاحظي عطره الفواح؟ الذي يعود من الشغل ياهانم يكـون معطرا برائحة تبغ يجـوز . اوراق يجوز . تراب المكاتب يجـوز. لكن هـذا العطر؟ . . تهـز غـريزتي رأسـهـا مـسـتنكرة

باستخفاف. . لا أظن . .

أحـاول هنا أن أوضح لهـا أن هذا ممكن . . وانه ليس قـرينة قـوية . لكنها تقاطعني بلهـجة من يفهم أكثر منى : ومن هو أكثـر حصافة ودراية بالدنيا واحوالها منى : هذه أشياء تفهمينها أنت. .

تقـول لى غـريزتي . . فـالرجال مـنذ خلق الله الخلق . . كـالماء في الغربـال . . هل تستطيـعين إمساك الماء فـى الغربال؟ اقول علـي الفور : لا . .

تبتسم غريزتي منتصرة : «هو ذاك » !

ثم تضيف: ما هذه السعادة التي تطفح من كل وجهه ؟! هه ؟!

الذي يعود هكذا متأخرا الي ما بعد منتصف الليل بعد يوم عمل طويل ومرهق بلا شك من مجادلات ومهاترات وارقام واحصاءات . . ولا ونعم وهات وخـد . الست معي في انه لابـد . . لابد . . أن يعود إلي البـيت محطم الاعصاب منهوك القـوي لايستطيع حتي فك ربطة عنقة . لايقوي علي خلع حذائه .

لكن هذا المتسلل المتسحب . . المبـتسم في خبث من عمل «عملة» . . كالطفل دبر مقلـبا يخفى امره عن والديه وينتظر وقع المفـاجأة عليهم . . انظري في عينيه وستـرين شيطانا خبيثا يقهقـه فى صمت ويخرج لنا لسانه ويلعب حاجبيه . .

هذا المتسلل ـ زوجك ياهانم ــ هـكذا . . شيطان يقهقـه في صمت ،

يسخر منك ومن غفلتك وطيبة قلبك . .

اقول لنفسي : معها حق . كلامها يبدو منطقيا ومقنعا .

لكن . . اقـول لنفسي أيضـا : لا . . في داخلي شيء يرفض منطقـها هذا المبني علي الافـتـراض . . . انا احب زوجي وهذه وحـدها نتـيـجـة وسبب في الوقت ذاته .

أنا احبه نتيـجة لثقتي فيه وقناعتي به . . ونتيـجة مشوار طويل قطعناه معا كان لي فيه زوجا وفيا محبا لم تصدر عنه اساءة واحدة تجاهي . . كان عطفه وحنانه معطفي ضد امطار الحياة وعواصف همومها . .

انا احبـه وحبي له سـبب اعتـقد انه يكفى ليكون سـورا يدفع عنه اي شك ويحميه من اي اتهام .

انا احبه وكفي .

تقـول غـريزتي : كـفي هذه لا تنفع هـنا . . مـاذا عليك لو ادخلتـه امتحانا واحـدا . اتمني مثلك أن ينجح فيه ليسـتريح قلبك واهدأ انا . اما إذا . .

اصرخ فيها : معاذ الله .

تقول : امـا اذا رسب فتكونين قد اسـتبنت نصـحي لك وتأكدت من خداع هذا الذئب المبتسم لفريسته المستسلمة . .

اقول : بسيطة . . سـاطلبه بالتليفون في عمله لأتاكـد بنفسي اذا كان

مازال في المكتب . استرحت ؟!

تهز غريزتي رأسها : هو ذاك !!

عند منتصف الليل ادرت قرص التليفون ، مازال الخوف يتملكني فاتهام الناس ليس مسألة سهلة وانا اتهم زوجي . .

قربت السماعة من أذني ما زال الجرس هناك يرن ، الشك يخنق قلبى، غريزتي تنتظر النتيجة مفتوحة العينين ملهوفة علي سماع نبأ انتصارها . . افكر للحظة في ان ادير حوارا وهميا من طرف واحد ادعي فيه انه هناك يرد علي مكالمتي لأفرس هذه الغريزة المتطفلة علي حبي لزوجي . . تكاد السماعة تسقط من يدي يأسا من وجوده . . فجأة ترتفع السماعة هناك ويأتيني صوته الدافيء الذي احبه يغمرني في لحظة بحبه وينتشلني مما انا فيه . .

ـ الو . . هالو . . هالوو .

اضم السماعة الي صدري بكل الحنان والحب . . اتلفت حولى ابحث عن وجه غريزتي الكئيب . اريد ان اري في عينيها ذلة انكسارها وانتصار حبى لزوجى فلا أجدها . . فى لحظة اضع السماعة وانهض كالمسحورة عائدة الي فراشي لأنام ملء جفوني يغمرني اطمئنان يملأنى بالسعادة ويرسم علي وجهي ابتسامة كادت تضيع مني .


اليوم عيد ميلادى

مرت الساعات بطيئة . . انهى التليفزيون ارساله وأرسلت المذيعة ابتسامتها تودعنا بها وتتمنى لنا أحلاما سعيدة . . قمت أغلق التليفزيون وقد سيطرت على حالة من القلق الغاضب او الغضب القلق. .

ليست هذه اول ليلة يتأخر فيها زوجى ولن تكون الاخيرة . . أعلم هذا وليس هذا هو الذى يعنينى ويهمنى بالتحديد . . وانما يهمنى بكل التحديد ان ينتهى هذا الوضع. لابد من وقفة تحسم كل الامور ، فمن المستحيل ان يستمر هو على حاله هذا من السهر مع اصدقائه كل ليلة ، واستمر انا هنا أمضغ القلق والانتظار كأنى قطعة من أثاث البيت !

قال لى رأسى الساخن «لم تعد الزوجة جارية لرجل تغسل ثيابه وتطهو طعامه وتنجب له الذرية الصالحة . الزوجة الان شريك كامل يؤدى دوره وواجبه وينتظر مقابلها حقوقه». . نعم. هززت رأسى لنفسى موافقة على كل كلمة قالها لى رأسى الساخن . . تطلعت الى الساعة . تجاوزت منتصف الليل ولم يعد . ومازال الوقت يمرّ بطيئا . سحبت كتابا ورحت اتصفح ما فيه . لم استطع التركيز حتى لمجرد ان اعرف فى أى موضوع هو . لم اشغل نفسى بمعرفة ما اذا كان كتابا فى الجغرافيا او علم النفس او رواية لكاتب أو كاتبة، كان كل همى أن اشغل هذا الفراغ الذى راح يملأ المكان من حولى حتى كاد يخنقنى . تذكرت سيزيف الذى كان يدفع الصخرة امامه الى اعلى الجبل حتى اذا بلغ قمته تركها لتتدحرج مندفعة الى السفح فيهبط خلفها ويعود ليدفعها الى اعلى من جديد . . هكذا قضت عليه مشيئة الآلهة فى الأسطورة لغلطة ارتكبها فاى خطأ ارتكبته

قلت لنفسى ، وقد تنبهت الـى اننى بدأت اهذى : مالى انا وسيزيف. واى صخرة تلك التى تصـورت نفسى أدفعها امامى الى قـمة الجبل . هل كل هذا لمجرد ان زوجى تأخر فى الخارج كعادته كل ليلة ؟

اضنانى التـفكير وتمـلكنى التعب ، قـاومت رغـبتى فى النوم . كـان اصرارى مـبعثه رغـبتى فى مواجـهته الليلة . . الليـلة بالذات لأسمع منه تفسيرا يقنعنى بأسباب تأخره خارج البيت كل هذا الوقت . .

هززت رأسى بشدة انفض عنها النوم . . فتحت عينى وأغلقتهما بسرعة عدة مرات. وفى النهاية أغلقت الكتاب وتمددت فى مكانى فوق المقعد . . اسندت رأسى الى المسند واستسلمت للنوم. فى الصـباح استـيقظت فى فـراشى. ازحت الغطاء عنى بسـرعـة ورحت أعـيـد ترتيب افكارى . . تذكرت سـهرتى بالأمس فى انتظار عـودته. رفعت صوتـى اناديه. جاءنى صوته من الحـمام مجـيبا . . هو هنا اذن. . نهـضت من الفراش فى أثره . . كان واقفـا امام المرأة يحلق ذقنه . . التفت الى. كانت ابتسـامته التى تسـبق كـلامه كـالعـسل المصـفى لكننى كنت قـد حـزمت أمرى وقـررت صده. . قلت أسأله بصوت غاضب أين أمضيت ليلتك بالأمس؟ .

قال وابتسامته ــ سلاحه ضدى ــ لم تفارقه :

ــ حالا تعرفين . .

جفف وجهه بسرعة وخـرج يبحث فى الدولاب بينما وقفت أنتظر منه

ردا ارتب عليه خطوتى التالية. . استدار قائلاً وكلتا يديه خلف ظهره:

ــ اغمضى عينيك من فضلك .

قلت بشدة :

ــ لست امزح أين كنت ليلة الأمس ؟

اجاب وابتسامته تزداد لمعانا :

ــ اجيبك بعد ان تغمضى عينيك .

استسلمت محنقة واغمضت عينى .

ــ افتحى عينيك الآن .

كنت اتوقع مفاجأة قررت أن أرفضها ، فتحت عينى ، تأملت والدهشة تهز كيانى كله تلك الاسورة التى كان يحملها فى يديه . . تذكرتها على الفور . .

قال وحنانه الدافق يغمرنى: هل أجيبك الآن ام اننى اجبتك بالفعل ؟

مددت يدى اتناول الاسورة من يده . . رفعتها امام عينى اتأملها ومرّ أمامى من جديد ذلك المشهد الذى لا أنساه يوم كنا خلال احدى رحلات الصيف نتجول معا متشابكى الايدى امام الفاترينات فى المصيف . . قلت له عرضاً فى ذلك المساء ونحن نقف امام فترينة محل المصوغات واصبعى تنقر على الزجاج: الاسورة جميلة. . وتمنيت لو انها كانت تزين معصمى . . ولم ازد كلمة . . ومضينا نستأنف سيرنا نتفرج على المحلات . .

ادركت على الفور حقيقة الامر وخجلت من نفسى . . . لقد سافر الى هناك ليشترى تلك الاسورة التى تمنيتها ذات مساء مضى وعاد فى الليلة ذاتها ليفاجئنى بها . .

تزاحمت الدموع فى عينى والقيت نفسى بين ذراعيه فاحتوانى فى صدره وحبه كله يهمس فى اذنى :

ــ كل سنه وأنت طيبة . . اليوم عيد ميلادك . . هل تذكرين؟!

الرجال لا يعرفون الآه

التجهيزات الفنية
دار جهاد للنشر والتوزيع
إخراج فنى/ زينب طيبى

الناشر: دار جهاد للنشر والتوزيع

٢٦ شارع اسماعيل أباظة بجوار محطة مترو انفاق «سعد زغلول» ت: ٣٥٦٤٧٨٣

دار الطـــباعة الحـديثـــة
٣٩١٢٨٣٨ - ٥١١٥٨٤٨

رقم الايداع بدار الكتب - الترقيم الدولى

١٩٩٤ / ٥٧٩١